

الفصل الأول

الاسلام فى شرق أوربا

المسلمون وغزو أوربا من الشرق

غزو القسطنطينية

تذكر المصادر التاريخية العربية والأجنبية أنه ما أن أَسْتَقَرَّ حكم بنى أمية فى بلاد الشام وولى معاوية بن أبى سفيان أمور المسلمين بعد أن زالت كل المتاعب عن طريقه ، حتى بدأ الاهتمام بمد حدود الدولة الإسلامية وتوجيه الجيوش الموحدة الإسلامية للغزو والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الدين القويم وفى سبيل نشر الرسالة المحمدية الإسلامية فى شتى بقاع الأرض المعمورة . ومن ثم بدأ التفكير فى تجهيز أول غزوة حربية لغزو مدينة القسطنطينية ، قاعدة الدولة الرومانية الشرقية ، ومن الثابت تاريخياً أن سياسة الخلافة الأموية فى دمشق كانت ترى من وراء هذه السياسة — سياسة غزو القسطنطينية والالتجاء إلى الباب الشرقى للقارة الأوروبية إلى ما هو أبعد من الاستيلاء على عاصمة الدولة الرومانية ، فقد كانت تهدف إلى حمل رسالة الاسلام إلى كل جزء من أجزاء القارة الأوروبية لطبعها بطابع الدين الحنيف وإطواء هذه القارة فى دولة الاسلام الكبرى، وذلك بعد أن يتم تثبيت أقدام المسلمين على أديم الأرض الأوروبية، ومن ثم تتخذ مدينة القسطنطينية قاعدة أساسية للانطلاق منها لتنفيذ ذلك الهدف السامى من أجل نصرة دين الله .

الاستعداد للغزو :

وكان المسلمون قد خبروا ضفء الدولة الرومانية فى عدة معارك برية وبحرية وهزموا جيوشها وأدركوا ما أصابها من الانحلال والضمف والتفكك والانهيار، وقد كانت الظروف السياسية تسمح بالقيام بغزوة إسلامية كبرى لعاصمة الامبراطورية تهدف إلى تنفيذ خطة المسلمين فى نشر ألوية الرسالة المحمدية ،

فقد كان يحكم العاصمة الرومانية إمبراطور صغير السن بالإضافة إلى الخلافات الداخلية بين أمراء الأسرة الحاكمة والخلافات مع بلاد البلغار المجاورة لهم من جهة الشمال الغربي . وقد كان ذلك من العوامل التي ساعدت ودفعت معاوية لتجهيز تلك الغزوة واتخاذ سياسة الهجوم ومهاجمة العدو في عقر داره بدلا من سياسة الدفاع وقام العرب بعدة غزوات صغيرة كانت عبارة عن خدع حربية في حين أن جهود المسلمين الأساسية كانت موجهة لمعركة كبرى مع عاصمة الدولة الرومانية القسطنطينية .

وحشد الخليفة معاوية جيشا كبيرا وأسطولا ضخما ، خرج من كل الموانئ الإسلامية المطلة على شواطئ البحر المتوسط ، خرج ذلك الجيش والاسطول يرفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ليرفع تلك الراية خفاقة عالية على مدخل أوربا الشرقي ، وسار هذا الجيش والاسطول من ثغور بلاد الشام ومصر إلى مياه القسطنطينية عتقا هضاب الأناضول تحت قيادة أمير الجيش سفيان بن عوف الأزدي (١) وتبعه بعد ذلك يزيد بن معاوية ومعه أيضا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجاهدوا في سبيل نشر الرسالة الإسلامية الخالدة ومن بينهم الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمر ، وابن الزبير وغيرهم من الصحابة وأبناء الصحابة .

المهم أنه بعد أن وصل الجيش الإسلامي إلى القسطنطينية وبعد أن اخترق الاسطول الإسلامي مضيق المردينيل دون أدنى مقاومة تذكر من جانب الاسطول الرومي ، وبعد أن أوغل الجيش الإسلامي في آسيا الصغرى مستوليا على كل مدنها وخضعت له كل البلاد الواقعة في طريقه سواء التي تقع في الجبال

(١) تذكر بعض المصادر التاريخية أن قيادة غزوة القسطنطينية الأولى كانت تحت إمرة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، إلا أن هذه الروايات ضعيفة وسندها التاريخي لا يأخذه به . ذلك أن يزيد كان قد تأخر عن الخروج مع الجيش الزاحف للغزو بسبب مرض ألم به ، وأنه خرج بعد ذلك بقوات أخرى ، وقد يكون تولى قيادة قوات الغزو بعد وصوله إلى أرض المعركة وحصار القسطنطينية .

أوالسبول ، وبعد عدة معارك صغيرة وصل الجيش إلى القسطنطينية ، وتم نقل جنود البحرية الإسلامية إلى الشاطئ الأوربي على بعد سبعة أميال من القسطنطينية والتقى جنود القوات البرية مع جنود القوات البحرية وبدأ الزحف لتحقيق الهدف الأسمى المنشود .

الهجوم على عاصمة الروم :

وهكذا بدأ العرب والمسلمون أول معاركهم البحرية بمحاصرة المدينة فطوقوها من البر والبحر بصفوف كثيفة من الجنود والسفن ولبشوا عدة أيام من الفجر إلى المساء يهاجمون واجبتها الشرقية حتى القرن الذهبي ، واستمر حصار المدينة من البحر من شهر أبريل عام ٦٦٨ م (٤٨ هـ) وقد ارتد المسلمون عند اقتراب الشتاء إلى جزيرة أروادا والتي كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم وسيطرتهم عليها من قبل وذلك لكي تكون مركزا من مراكز الإمداد والتأمين وخط دفاع ، وهي تقع على بعد ٨٠ ميلا من القسطنطينية حيث أنشأ المسلمون بها مراكزهم الهجومية وعاد المسلمون إلى حصار المدينة في صيف العام التالي وعاودوا الارتداد في الشتاء واستمروا بعد ذلك يعاودون الحصار والارتداد ، وإن كان بعض مؤرخي العرب قد ذكروا أن الحملة كانت صائفة أى في صيف عام ٤٩ هـ / ٦٦٩ م ثم تعددت الشواقي والصوائف سنة بعد سنة وهذا ينبغي أن القتال كان في فصل الصيف فقط وهذا الرأي أقرب إلى القبول . إذ كيف يترك المسلمون القتال في فصل الشتاء ويسمحون للعدو بإعادة استعداداته ووصول الامدادات إليه وحشد قواته استعدادا للقتال في الصيف القادم .

وهناك أقوال أخرى نذكر أن السفن الإسلامية كانت تحاصر المدينة في الربيع والصيف وأنه لما طال حصار المدينة وتحطمت بعض السفن ، خرجت في عام ٥٤ هـ / ٦٧٤ م عمارة ضخمة عليها فرق بحرية من السوريين والمصريين قاصدة بحر مرمرية ومنها إلى القسطنطينية واشتبك المصريون والسوريون الذين كانوا يرفعون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله مع الأسطول الرومي في مياه القسطنطينية وعلى مقربة من أسوارها في معارك حامية تطاولت حتى بلغت سبع

سنوات ولكن المسلمون رغم كل الجهود والمخلات وطوال فترة الحصار لم يتمكنوا من فتح المدينة لمناعة حصونها ووصول الإمدادات الحربية من كل دول أوربا واستشهد في تلك الغزوة الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري (١) ولم يعرف على وجه التحديد، عام استشهاده ففيل كانت في عام ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ وقد دفن تحت أسوار المدينة .

نتائج الغزوة :

لقد نجح معاوية بن أبي سفيان في هذه الغزوة إذ استطاع عن طريقها القضاء على حركة المردة الذين كانوا يهاجمون الحدود الشمالية للدولة الإسلامية والذين كانت تدربهم الامبراطورية الرومانية وترسلهم لمهاجمة الحدود، كذلك نجح الأسطول الإسلامي في محاصرة المدينة وتضييق الحصار عليها وحصارها حصاراً قاسياً رغم تفوق الروم على المسلمين في النار الاغريقية والحراقات والتي ساعدتهم في الوقوف أمام هذه الغزوة الإسلامية الكبرى ولم يرفع معاوية الحصار عن المدينة إلا حين شعر باشتداد المرض عليه وقرب دنو أجله ، ورأى أن تعود القوات الإسلامية الغازية إلى بلاد الشام لحفظ الأمن الداخلي للبلاد لا بسبب فشلها في فتح القسطنطينية كما أشاع ذلك كتاب الغرب من النصارى المعادين للإسلام وقوته وأيضا بعض المستشرقين الذين انساق وراءهم للأسف بعض مؤرخي الغرب والمسلمين في القول بفشل تلك الغزوة .

وهناك أراء تذكر أن الذي أمر برفع الحصار عن المدينة وعودة القوات إلى

(١) كان أبو أيوب الأنصاري قمتلب من يزيد بن معاوية في هذه الغزوة أنه إذا استشهد في تلك الغزوة أن يدفن تحت أسوار مدينة القسطنطينية وكان أبو أيوب الأنصاري قد شهد غزوة بدر وأحد والزيوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب وغيرها من حروبه ، وعندما فتح السلطان العثماني محمد الفاتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ م غر العثمانيون على قبر أبو أيوب الأنصاري خارج الأسوار وبعد ست سنوات من الفتح عام ١٤٥٩ م أمر السلطان محمد الفاتح ببناء مسجد يضم قبر الصحابي الشهيد الجليل، ولا زال إلى اليوم مسجد أبو أيوب من المساجد الكبرى المشهورة في اسطنبول .

داخل البلاد وخاصة بلاد الشام هو يزيد بن معاوية وذلك لمواجهة الأحداث الداخلية المحتملة ومنها عدم اتفاق المسلمين عامة على مبايعته خليفة للمسلمين ، كذلك قد يكون طول فترة الحصار . والذي استمر سبع سنوات هو الذي دفع الخلافة الأموية في التفكير في إيجاد طريق آخر لنشر الإسلام في أوروبا ، ولكن ليس عن طريق الشرق طريق القسطنطينية ومن ثم كانت فكرة فتح أوروبا من الغرب ففتح موسى بن نصير وطارق بن زياد الأندلس ، وسار موسى بن نصير في تنفيذ هذه السياسة فتوغل في بلاد الأندلس شمالاً ووصلت القوات العربية الإسلامية إلى سهول فرنسا الواسعة بعد أن عبرت جيوش المسلمين جبال البرانس ودخلت قوات موسى مملكة الفرنج واللومبارد وكانت فكرته أن يصل إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عن طريق روما والقسطنطينية عن طريق الغرب بعد أن يتم له فتح ما يتبقى من بلاد النصرانية في أوروبا ولم تكن تلك الخطوة أخطر من خطة اختراق الشمال الأفريقي الطويل والوصول إلى البحر المحيط والمحيط الأطلسي ، غرباً بعد أن خرجت القوات الإسلامية زاحفة من مصر شرقاً .

عودة فكرة الغزو مرة أخرى :

مع نجاح القوات الإسلامية العربية في فتح أوروبا من الغرب إلا أن القسطنطينية وفتحها ظل أملاً يداعب أفئدة المسلمين على مر الأيام والسنين وظهرت الفكرة إلى حين التنفيذ مرة أخرى وكان ذلك أيضاً في عهد الخلافة الأموية ، ففي عهد عبد الملك بن مروان ورغم انشغاله بالمشاكل الداخلية وضرورة التغلب عليها للخروج بالدولة الإسلامية موحدة قوية ، إلا أنه لم يصرف النظر على الإطلاق عن فتح القسطنطينية وإندفاع القوات الإسلامية غرباً لتلتقي مع القوات الإسلامية الزاحفة من الغرب وذلك لرفع راية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فوق تلك المدينة وفوق الأراضي الأوروبية الأخرى وضرباً إلى ديار الإسلام ، فلم تمض بضعة أعوام حتى كانت فكرة غزو أوروبا من الشرق عن طريق القسطنطينية غاية الخلافة الأموية وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك وكان عهده يتميز بالهدوء والاستقرار الداخلي للدولة الإسلامية مما أتاح له فرصة

معاودة سياسة الغزو ، وأراد الوليد أن يحقق محاولة أسلافه في فتح المدينة التي ارتدت عنها الغزوة الأولى في عهد معاوية وأن يوجه همه نحو الحدود الشمالية للدولة فأعد حملة بحرية كبيرة لفتحها ، ولكن الوليد بن عبد الملك مات قبل أن يكمل العدة ويجهز الحملة وإنحارها إلى مياه القسطنطينية .

سليمان بن عبد الملك والغزوة الثانية :

ب وفاة الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة الإسلامية أخوه سليمان بن عبد الملك فعزم على إكمال المشروع الذى كان قد بدأه سلفه الوليد ورسم خطته لفتح المدينة براً وبحراً كما رسمت الخطة في عهد معاوية بن أبي سفيان مع فارق بسيط في التنفيذ وذلك لأن عمليات العرب والمسلمين في آسيا الصغرى وتدمير حصون العدو وقلاعهم في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد قد جعلت المسلمين مهتمين على العودة إلى غزو القسطنطينية ، وذلك لأن العرب والمسلمين كانوا قد استعادوا بعض نشاطهم في البحر بسبب حصولهم على سر النار الاغريقية التي تسببت في إحراق سفن أسطولهم في الغزوة الأولى .

وكان الذى هباً للعرب السير في مشروع الغزو هو حدوث اضطرابات خطيرة في دولة الروم وانهزامها أمام البلغار والصقالبة الذين اقتحموا أجزاء كبيرة من أجزائها الشمالية والغربية ووصلت هذه القوات حتى أسوار مدينة القسطنطينية نفسها وامتدت غزوات المسلمين حتى ضفاف البسفور والدردنيل .

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد ترك دمشق عاصمة الخلافة وخرج شمالاً إلى مرج دابق ورابط على بعد أربعة فراسخ من حلب يراقب الموقف ويتابع سير الأمور وسارت القوات الإسلامية يحدوها الأمل الكبير ويشدها الهدف المفسود في رفع راية الإسلام خفاقة عالية فوق المدينة وتحويل كنائسها إلى مساجد يرفع فيها اسم الله ويذكر وكان على رأس هذه الغزوة الميمونة مسلمة بن مروان شقيق الخليفة سليمان في جيش كبير وتقدم الجيش العربى الإسلامى نحو القسطنطينية وكان الخليفة سليمان يشرف بنفسه على كل شيء ويتابع سير الأحداث ويراقبها ،

ودخلت القوات الإسلامية إلى المدينة وأحكمت حصارها برأ من كل الجهات البرية وفي نفس الوقت حاصرها الأسطول الإسلامي بقيادة أمير البحر سليمان ، وكان نجاح القوات البرية في اقتحام المدينة وفتحها رهنا بنجاح الأسطول الإسلامي في التعاون مع القوات البرية في إكمال خطة الحصار وفرض حلقة منيعة من الحصار عليها من البحر وقام الخليفة سليمان بناء على ما كان يصله من معلومات بإمداد أخيه بجيش آخر وأمره بإحكام الحصار وسد الثغرات والتركيز على أماكن الضعف في دفاع المدينة وأخبره بعزمه على أن يمدد بجيش ثالث يكون هو بنفسه على رأس هذا الجيش ليشرف بنفسه على سير المعركة إذ أضمن النصارى في مقاومة الهجوم الإسلامي .

بدا الحصار :

وبدأ المسلمون حصارهم للمدينة في ١٥ أغسطس ٧١٧ م / ٩٨ هـ أى قبل دخول الشتاء ولذا كان أول هدف لأمير البحر هو قطع المواصلات البحرية بين المدينة وبين البحر الأسود شمالاً وبينها وبين بحر مرمرة وبحر إيجه جنوباً وقد نجح القائد العربي المسلم أمير البحر سليمان في تنفيذ الشطر الأول من خطته في إغلاق الباب الجنوبي عن طريق بحر إيجه وبحر مرمرة ولكن لكي يتم للعرب والمسلمين لإحكام حصارهم حول المدينة عبروا بقواتهم المجاهدة في سبيل نصرة دين الله الخفيف إلى الشاطئ الأوربي ليهاجموا البلغار والذين كانوا العرب يطلقون عليهم اسم « برجان » ومعهم الصقالبة وهم الذين كانوا قد ساعدوا الروم من قبل بقواتهم العسكرية في الغزوة الأولى وذلك لاعتقادهم الراسخ أن المسلمين سوف يزحفون إليهم للاستيلاء على بلادهم والاندفاع إلى كل أنحاء أوروبا لاطوائها تحت راية الإسلام وأنه إذا أسقطت القسطنطينية فإن بلادهم لا محالة ساءمة لنفوذ الإسلام والمسلمين ومن هنا فقد كانت خطة المسلمين ناجحة في قطع الامداد عن المدينة من ناحية الغرب ، وبعد ذلك حاول المسلمون أن يفتحوا المدينة بالهجوم والمباغزة ولكن هناك ظروف حالت بين اقتحام المدينة بعد أن بذل المسلمون جهوداً جبارة في سبيل إخضاعها بالحصار الصارم والمستمر والطويل وحفر قائد الجرد مسلمة بن مزوان حول معسكره خندقاً عظيماً وأقام حوله سداً متيناً ، ومن

جنده بمجموعات خاصة إلى الأنحاء المجاورة للمدينة لتدمير المدن الصغيرة والقرى المحيطة بالقسطنطينية وكذلك لكي تتلف المون والأقوات التي قد تقرب إلى المدينة المحاصرة من ناحية الغرب وكذلك منع وصول القوات العسكرية عن طريق المول الأوربية المجاورة .

دور الأسطول الاسلامي في الغزو :

قام الأسطول الإسلامي الذي كان يتكون من ١٨٠٠ ألف وثمانمائة سفينة — ربما يكون هذا العدد مبالغ فيه من جانب كتاب الغرب النصارى وذلك لإظهار ضعف المسلمين عن إخضاع المدينة بهذا العدد الكبير من السفن — فيما بين حرية كبيرة وصغيرة وسفن إمداد وتموين بتنفيذ الشطر الثاني من خطة الحصار ، وقد انتهر القائد البحري لهذه الغزوة فرصة هبوب الرياح المواتية فأرسل بمجموعة من سفن الأسطول للسيطرة على مدخل البحر الأسود ليحول دون وصول الامدادات العسكرية والغذائية من هذه الثغور ، ولكن المنطقة التي عبر منها الأسطول الإسلامي كانت صعبة الملاحه بسبب انحدار تيار مائي من البحر الأسود يمنع عبور السفن الإسلامية ، وفضلا عن ذلك فإن السفن الصاعدة لم تستطع الإبحار ضد هذا التيار بالاعتماد على تسيير السفن زمنا طويلا ، وقد أدى ذلك إلى وقوع كارثة في الأسطول الإسلامي قلبت خطط المسلمين رأسا على عقب إذ اشتدت الرياح على الرغم من أن السفن كانت تسيير ببطء شديد من جراء التيارات المائية ، واضطرت السفن أن تغير اتجاهها فاصطدمت بعضها ببعض وانتهر النصارى هذه الفرصة فوجهوا إلى الأسطول الإسلامي سيلا من النار الاغريقية فأحرقوا بعضا منها ودفعوا بالجزء الباقي إلى أسفل المدينة لمحاولة السيطرة عليهم وأسر بحارته ولكنهم فشلوا في تلك الحطة وأقلت الأسطول الاسلامي من كارثة متوقعة .

ولكن إزاء هذا التصرف من جانب النصارى فإن قائد البحر المسلم عقد العزم على أن ينتقم لهذه الهزيمة التي حلت بأسطوله ، بل صمم على إحراز النصر على الأعداء بأية وسيلة تحدد أمنع السفن وهياكل سفينة بمائة مقاتل من خيرة جنده الأشداء والذين كان يدفعهم الحماس الشديد للاستشهاد في سبيل الله وفي سبيل

رفع راية الاسلام فوق تلك المدينة التي تمثل حجر الزاوية في السيطرة على أوروبا من الشرق ، بل هي المفتاح للدخول إلى أوروبا .

وزحفت السفن إلى أسوار المدينة وبذلت جهداً عنيفاً وجباراً لاقحامها ولكن المدينة قاومت بسيل من النار الاغريقية وكان قد تولى الدفاع عنها امبراطور جديد الذي استطاع أن ينقذ المدينة من السقوط بمخدعة بارعة وساعدت الظروف الطبيعية الروم على أن يتوقف العرب عن نشاطهم الحربي ، فقد بدأ فصل الشتاء ببرده القارس وتلوجه المترامية والتي أدت إلى توقف القتال ولكن ما أن أُنقشع الشتاء حتى أعاد المسلمون نشاطهم الحربي ووصلت نجيدات من مصر وسوريا وسائر الأقاليم الاسلامية من أجل الجهاد المقدس واستمر الحصار طوال حكم سليمان بن عبد الملك ولكن بعد وفاة سليمان وتولى خلافة المسلمين الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ٥٩٩ هـ / ٢٧٧ عام فانه أمر المسلمين برفع الحصار عن المدينة المحاصرة والعودة بالقوات الاسلامية إلى دمشق حاضره المسلمين .

نتائج الغزوة الثانية :

إن بعض مؤرخي الغرب والعرب قد نسبوا فشل تلك الغزوة التي أعده المسلمون لها كل عدة وجزوا لها كل ما استطاعوا من قوة إلى قائد الحملة مسلمة بن مروان فهو على حد قولهم وإن كان مقاتلاً شجاعاً إلا أنه كان عاجزاً عن اتخاذ القرار النهائي ، بل إنه لم يكن له رأى في الحرب بل لم يكن من بين أصحابه من يسدى له النصيح ولا حتى مشاركته الرأى . ولكن العرب والمسلمين ما كان يضيرهم هذا الانسحاب في شيء كما حدث في المرة السابقة في عهد معاوية بن أبي سفيان إذ لم يلبشوا أن عادوا أكثر قوة وأشد بأساً في قتال الروم بروح عالية في قتالهم واستطاعوا دك حصونهم وهدم قلاعهم التي كانت في آسيا الصغرى .

ولكن رغم كل هذا فإن التطلع إلى غزو القسطنطينية واطوائها تحت راية الإسلام رغم فتح أوروبا من الغرب ظل حلماً يداعب أفئدة المسلمين على تعاقب العصور والأجيال ففي عهد الدول العباسية والتي نقلت الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد بعيداً عن عاصمة الروم ، إلا أن الغزوات تكررت ، ففي عهد الخليفة

العباس المهدي خرجت غزوة كبيرة إلى المدينة لكنها لم تستطع أن تحقق أهدافها نظروف داخلية ، وتكررت الغزوات في عهد الخليفة هارون الرشيد على القسطنطينية رغم سيطرة المسلمين على البحر المتوسط سيطرة كاملة إلا أن الغزوة لم تستطع أن تحقق أهدافها وإن كانت قد أضعفت موقف المدينة وامبراطوريتها في نظر باقي دول أوربا وليس معنى هذا عدم انطواء القسطنطينية تحت راية الاسلام (١) هو وقوفها في وجه المد الإسلامي الزاحف من الشرق إلى أوربا لنشر الدين الاسلامي الخالد في سهول أوربا الشرقية ، بل على العكس من ذلك نجد الاسلام يندفع بقوة كاسحة ليشبث دعائمه ويقوى أركانه وينتشر في بلغاريا والمجر وغيرهما من دول أوربا المطلة على البحر الأسود في قلب القارة الأوروبية .

وتلك لمحة من لمحات الجهاد الاسلامي في القرن الأول الهجري من أجل نشر عقيدة الاسلام في أوربا .

الإسلام والمسلمون في جزيرة رودس

كان لمعاوية ابن أبي سفيان وإلى الشام الفضل الأول في إنشاء أول قوة بحرية إسلامية ، إذ أنه كان باعثاً للنهضة العربية البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وهو أول وإلى عربي يشترك ويقود معركة بحرية ضد الدولة البيزنطية في البحر المتوسط والتي استطاع من خلال تلك المعركة أن يحقق للعرب والمسلمين وجودهم وكيانهم البحري في ذلك البحر الذي سيطر المسلمون على شواطئه الشرقية والجنوبية وكانت معركة ذات الصواري أول نصر عربي إسلامي في تاريخ

(١) من المعروف والثابت تاريخياً أنه بعد أن قامت دولة سلاطين العثمانيين في آسيا الصغرى فإن القسطنطينية قد تعرضت لعدة غزوات متوالية ومتصلة من جانب سلاطين بني عثمان ولكن كل هذه الغزوات لم تستطع أن تحقق أهدافها حتى استطاع السلطان محمد الفاتح أن يقوم بفتحها في عام ٨٥٩ هـ / ١٤٥٣ م ويتخذها عاصمة لدولة الأتراك العثمانيين ويشير اسمها إلى اسطانبول وبذلك انطلوت هذه المدينة تحت راية الاسلام بل لأنها أصبحت من أكبر المدن الاسلامية في أوروبا والتي منها خرجت السرايا الاسلامية لنشر الاسلام في أوروبا الشرقية حتى وصلت إلى أبواب مدينة فيينا عاصمة النمسا الحالية .

المسلمين البحري بل أنها كانت تعد يرمو كما ثانية إذ استطاع المسلمون أن يضموا
بهذه المعركة حداً لتبجح البحرية البيزنطية .

وذلك لأن معاوية كان يرى ضرورة السيطرة على شواطئ البحر المتوسط
المواجهة للشواطئ السورى وأيضاً إخضاع الجزر الموجودة في مقابله ذلك
الشاطئ ورفع راية الإسلام فوقها واتخاذ خطة الهجوم على العدو في عقر داره
بدلاً من السياسة الدفاعية التي اتبعها المسلمون ضد الروم .

ولقد شغل معاوية فترة من الزمن بنزاعه مع الخليفة الراشد الرابع على بن
أبي طالب رضى الله عنه ، على المضى في فتوحاته التي كان قد بدأها ، ولكن بعد
استشهاد على بن أبي طالب أصبح معاوية بن أبي سفيان صاحب السلطة العليا في
الدولة العربية الإسلامية ، ومن ذلك الوقت أخذ معاوية يفكر في غزو الروم في
عقر دارهم ، وجاءت فكرة غزو القسطنطينية ولم يكن غزو تلك المدينة المنيعه
يتم دون حصول الأسطول الاسلامى على خط أول للهجوم ودون إيجاد مركز
متقدم للإمداد والتوطين لذلك الأسطول الإسلامى الذى بدأ يأخذ طريقه للظهور
كقوة بحرية في عالم البحر المتوسط ، ومن هنا كان التفكير في غزو جزيرة رودس
وسيطرة المسلمون عليها .

ورودس هذه التي هي محور الدراسة جزيرة صغيرة من جزر بحر الأرخيل
في البحر المتوسط وتقع إلى الجنوب الغربى من بلاد الأناضول وتبعد عن شواطئ
آسيا الصغرى تركيا ، سبعة عشر كيلو متر ومساحتها حوالى ١٤٦٠ كيلو متر
وهي ذات أرض جبلية وأعلى جبالها جبل تيبروس الذى يبلغ ارتفاعه ١٢٤٠ متر
وأعظم أنهارها نهر فسكو ، وقد أكسبها موقعها بين القارات الثلاثة أوروبا ،
آسيا ، أفريقيا أهمية كبرى في التاريخ الإسلامى وكان قربها من الدولة الإسلامية
قد جعلها في متناول الحملات الإسلامية في كثير من المناسبات .

وقد ذكر البلاذرى في كتابه فتوح البلدان أن رودس من أنصب الجزائر
وهي في نحو ستين ٦٠ ميل فيها الزيتون والمكروم وأشجار سنوبر والتين
والعنب والبرتقال وغيرها من الثمار وبها المياه العذبة يفكر ابن الأثير في كتابه

التكامل عن حوادث عام ٥٣ هـ / ٦٧٣ م أن رودس فتحها جنادة بن أمية الأزدي ، وجنادة هذا أحد من روى عنه الحديث الشريف ولقى أبا بكر وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل ومات عام ٨٠ هـ / ٧٠٠ م وكان خير من خبر البحر المتوسط والقتال البحري فيه وكانت له فيه معارك ضد الروم وأسطولهم وأنه استطاع أن يغزو عدة جزر في هذا البحر وأن يجعل الأسطول الرومي يخشى بأس وقوة الأسطول الاسلامي ورجاله .

وقد فتح رودس عنوة ونزل المسلمون بها وهم على حذر من الأسطول الرومي لأنهم كانوا يخشون أن يعترضهم الروم وهم في عرض البحر لأن سفن الأسطول الإسلامي كانت قليلة العدد بالنسبة للأسطول الرومي المنتشر في البحر المتوسط ولم يكن قد أعلن بعد الاستعداد التام بين القوات الإسلامية البحرية لغزو رودس نظرا لصغرها — وكان المسلمون يريدون غزوها والسيطرة عليها في سرية تامة — ولكن مع هذا فإن لها أهميتها لمن يسيطر عليها — وفي ذلك الوقت كان المسلمون قد سيطروا على الجهات الواقعة على ساحل الأناضول وهم في زحفهم البري للسيطرة على القسطنطينية وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد أرسل هذه الحملة البحرية — واتخذ المسلمون لهم حصنا قويا تجاه جزيرة رودس وذلك للإمداد والتكوين للقوات الذاهبة للسيطرة عليها والوقوف على حركة الأسطول الإسلامي المحارب والمتجه إلى رودس .

ووصلت السفن الإسلامية إلى رودس وأخذت السفن تذهب وتجيء أمام حصون رودس القوية وقلاعها المجهزة بالرجال والعتاد والتي كان الروم قد حصنوها أحسن تحصين وذلك لقربها من العاصمة القسطنطينية وكذلك لخوفهم من هجوم اسلامي متوقع عليها نظرا لحساسية موقعها بالنسبة لهم . ولكن جنادة بن أمية استطاع أن ينزل قواته بين أضعف حصنين وأن يسيطر على كل الجزيرة في فترة زمنية قصيرة بعد قتال عنيف مع الروم الموجودين فيها ، ويقول محمد بن سعد عن الواقدي أن المسلمون قد أقاموا برودس بعد سيطرتهم عليها سبع سنوات في حصن أقاموه لهم وبنوا حوله مساكن لهم وبنوا مسجدا لإقامة الشعائر الدينية فيه وقراءة القرآن الكريم ، ثم أنهم بعد ذلك أخذوا في إصلاح أرضها وفلاحتها ثم أخذوا يدخلون الزراعات المعروفة في بلاد الشام والشرق إليها .

وأن مجاهد بن جبر أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقبلاً بالجزيرة وكان يقرئ الناس القرآن الكريم ، وذكر أيضاً محمد بن عمر بن الخطاب أن العرب قاموا بالزراعة في الجزيرة واتخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها وأنهم كانوا إذا دخل عليهم المساء أدخلوها الحصن وأقاموا لهم ناطوراً يحذروهم عما في البحر وما يريدونهم بكيد من الأعداء وكانوا على حذر من أعدائهم وكانوا أشد حذراً من الروم .

الاستقرار بالجزيرة :

وحينما فتحت الجزيرة فإن معاوية بن أبي سفيان أنزل بها قوماً من أهل بلاد الشام وذلك بعد أن توطلت دعائم الإسلام والمسلمون بها ورتب لهم العطاء بل أنه أجزل لهم فيه وكان يعاقب بين الناس فيها وقد أصبحت بعد ذلك قاعدة هامة للمسلمين وخطه هجوم أول على الروم مثل قبرص وغيرها من جزر البحر المتوسط التي خضعت للسيادة الإسلامية فيما بعد ، بحيث أخافت العدو النصراني واتخذها المسلمون مركزاً لإمداد الأسطول المتجه لغزو القسطنطينية ، ولكن بعد ذلك اضطّر المسلمون إلى رفع الحصار عن القسطنطينية بعد حصار دام سبع سنوات ، بعد استفادة الروم من استخدام النار الإغريقية ضد سفن الأسطول الإسلامي ، كذلك كان موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان سبباً في ترك المسلمون لجزيرة رودس والانسحاب منها .

وقد اختلفت المصادر التاريخية في من أمر جنادة بن أمية بالانسحاب من الجزيرة ، هل هو معاوية بن أبي سفيان أم ابنه يزيد ولكن المرجح أن معاوية عندما شعر بدنو أجله أمر بسحب القوات الإسلامية المحاصرة لمدينة القسطنطينية وأيضاً من بعض جزر البحر الأبيض المتوسط والتي كانت قد خضعت للسيطرة الإسلامية ومنها جزيرة رودس وذلك لحماية الأمن والنظام في داخل الدولة الإسلامية وخوفاً من الاضطرابات التي ربما تحدث داخل الخلافة الإسلامية وذلك من جراء عدم إجماع المسلمين على الاتفاق على مبايعة يزيد بن معاوية خلفاً لأبيه ، وبذلك فإن قرار انسحاب المسلمين من جزيرة رودس وكذلك من جزيرة أروادة كان قرار معاوية بعد أن مكث المسلمون بها سبع سنوات .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها المسلمون بغزو جزيرة رودس بل أنه قد سبق لهم أن قاموا بعدة غارات سابقة عليها ومنها الغزوة التي كانت في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، وقد ذكر أرسيباليد لويس في كتابه القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، أن المسلمون قاموا بحملة بحرية على جزيرة رودس عام ٥٣٢ / ٦٥٢ م وقد خرجت السفن التي قدرها المؤرخون بمائتي سفينة إلى هذه الجزيرة ، حيث عاد المسلمون ومعهم الانقاض النحاسية لتمثال الشمس ، وقد قال ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك عن هذا التمثال هو تمثال من البرنز وهو ضخيم ومشهور وقد تم بيعه لتاجر يهودي من حمص ويقال أن معدن هذا التمثال قد بلغ ٨٠٠ جمل .

وقد ذكر أيضاً أنه في عام ٥٣٨ / ٦٥٨ م فإن المسلمون قد أغاروا عليها بقيادة عقبة بن عامر الفهري وعاد العرب بعد تلك الغزوة ومعهم الغنائم والأسلاب وذكر أيضاً أن المسلمون أغاروا عليها مرة أخرى عام ٦٠ / ٦٨٠ م بعد أن اشتبكوا مع الأسطول الرومي في عدة معارك بحرية ، ولم تنقطع غزوات المسلمين لجزيرة رودس وتداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية والصليبيين ومن ذلك أن مسلمة بن عبد الملك استولى عليها وهو في طريقه لحصار القسطنطينية عام ٧١٧ م وبعد أن لم تحقق غزوة القسطنطينية أهدافها فإن المسلمين انسحبوا من الجزيرة وفي مطلع القرن ٩ م حاول هارون الرشيد فتحها ولكن القوات الإسلامية لم تتمكن من ذلك نظراً لمناعة حصونها وقوة دفاع الحامية البيزنطية لها وظلت تابعة لبيزنطة .

ولما كانت الدولة الأموية قد صرفت النظر عن غزو أوروبا من جهة الشرق واتجهت إلى الغزو الإسلامي غرباً حيث وضع المسلمون أقدامهم في الأندلس غرباً وبذلك فقد ظهرت فكرة إتمام غزو أوروبا عن طريق روما والقسطنطينية ثم الوصول إلى دمشق فإن ذلك جعل المسلمون لا يفكرون في العودة إلى غزو رودس أو الاستقرار بها ولكن رغم قصر المدة التي استقر فيها المسلمون بالجزيرة ورغم انشغالهم بالقتال والجهاد ضد الدولة البيزنطية ومحاصرة القسطنطينية إلا أنهم أقاموا بها القلاع والحصون ثم نقل العدد الكثير من المسلمين إليها من

بلاد الشام وعمل المسلمون على نشر الاسلام بين البقية الباقية من الروم بها وأقاموا لهم بها مسجداً وداراً لتحفيظ القرآن الكريم وقاموا بزراعة أرضها وفلاحتها واستغلال معادنها ووضعوا بها جذور حضارتهم الإسلامية الزاهرة والتي قام النصراني بعد انسحاب المسلمين منها بالقضاء على كل أثر تركه المسلمون على أرض الجزيرة .

ومن هذا العرض لقصة الإسلام والمسلمين في جزيرة رودس يتبين لنا أن المسلمين لم يفكروا في ركوب البحر طمعا في الغنائم ولا للقيام بأعمال القرصنة كما حاول أن يصور ذلك بعض مؤرخي الغرب من النصراني وإنما كان ذلك الغزو الإسلامي في البحر المتوسط جهاد في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ونشر راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

كذلك يتبين لنا أن الغزو الإسلامي للجزيرة والعمل البحري في ذلك البحر لم يكن مجرد غارات عارضة من أجل السلب والنهب بل أن الغزو كان يتم وفق خطة مرسومة ومخطط لها قبل القيام بأي عمل وأن السيطرة الإسلامية على كل الجزر الواقعة في البحر المتوسط والتي تتعرض لها بعد ذلك لم يكن الهدف من غزوها إلا أن تكون خط دفاع وهجوم في آن واحد فهي تعتبر دفاع عن شواطئ البلاد الإسلامية في الشام ومصر وشمالي أفريقيا والأندلس ، وخطة هجوم للانطلاق منها لغزو القارة الأوروبية ، بالإضافة إلى أنها كانت مراكز لتكوين وإمداد الأسطول الإسلامي والذي أصبحت له السيادة والسيطرة على البحر المتوسط الذي أصبح بحيرة عربية إسلامية ولم يكن الأسطول الرومي يستطيع التحرك من موانئه إلا بحذر وخوفا من الأسطول الإسلامي وبهذا يمكن القول أن غزو رودس كان في الواقع مقدمة لغزو القسطنطينية . ونقطة ينطلق منها الأسطول الإسلامي لقطع المواصلات البحرية بين بحر مرمرية وبحر إيجه في البحر المتوسط .

السيادة الإسلامية على الجزيرة بعد ذلك :

لقد حاولت الدولة العباسية أن تسيطر على الجزيرة ولكن تلك المحاولة لم تحقق النجاح بل أنها ظلت تابعة لبيزنطية حتى استولى عليها فرسان الاسبتارية الصليبيين في عهد الحروب الصليبية الدائرة رحاها في بلاد الشام عام ١٣٠٨ م ،

حرفى عهد الدولة المملوكية فى مصر فقد أراد المماليك فتح جزيرة رودس ومن هنا فإن القيادة المملوكية فى عهد السلطان المملوكى جقمق أرسلت ثلاث حملات لغزوها الأول عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م وكانت مكونة من خمس عشر سفينة إلا أن الصليبيين تمكنوا من صدها لأنهم علموا بقيامها بواسطة جواسيسهم فى مصر فاستعدوا لقتالها الاستعداد التام وحصنوا الحصون والقلاع ودافعوا عنها دفاعاً شديداً فاضطر المماليك للانسحاب ولسكن السلطان جقمق لم يقنع بنتيجة هذه الحملة لذا فإنه استعد لحملة ثانية إلى رودس فجمع المعدات الحربية وبنى السفن وبسارت تلك الحملة إلى رودس عام ٨٤٧ هـ / ١٤٤٣ م إلا أن اشتداد الزوابع والأعاصير فى الشتاء اضطر الحملة إلى العودة إلى مصر بعد إبحارها بعدة أيام قليلة. وكانت الحملة الثالثة التى أرسلها جقمق نفسه عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م وهذه الحملة استطاعت أن تحقق أهدافها واستطاعت أن تخرب الجزيرة وتستولى عليها فترة من الزمن بعد أن كسرت مقاومة الصليبيين بها ، ولكن كلا من المماليك وفرسان الصليبيين كانوا قد ملوا طول القتال فعمدوا الصلح وظل الفرسان مسيطرين على الجزيرة حتى عام ٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م حين استولى عليها الأتراك العثمانيين فاضطر الفرسان الإستبارية بعد خضوعها للسيادة الإسلامية العثمانية إلى الرحيل منها إلى جزيرة مالطة فأقاموا بها حتى استولى نابليون عليها عام ١٧٩٨ م وهو فى طريقه إلى مصر ، ثم عادت إلى الأتراك العثمانيين بعد انسحاب الفرنسيين من مصر لكنهم خضعت بعد ذلك للإنجليز ، ولسكن إيطاليا استولت عليها عام ١٩١٣ م وظلت تحت سيادتها ولم تضم لليونان إلا فى عام ١٩٤٨ م ، وقد دام الوجود الإسلامى فى جزيرة رودس أكثر من ٢٩١ سنة ولا زال يوجد بها إلى اليوم أعداد ليست كثيرة من المسلمين لكنها تعتبر من الأماكن الرئيسية فى اليونان التى توجد بها جالية إسلامية كبيرة ، وحالة المسلمين فى رودس اليوم تبعث على الأسى والحسرة فى النفوس ذلك لأن هذه المجموعة المسلمة تعيش شبه منعزلة عما يحث إلى الإسلام بصلة ولم يصل إليهم أى داعية إسلامية ابتداء من الاحتلال الإيطالى عام ١٩١٣ م ولم يظهر بينهم من يفقه الناس فى الدين ويدعو الناس إلى وجود مدارس دينية ، فأصبح أبناء الجيل الجديد لا يفقهون شيئاً عن أمر إسلامهم ومن النتائج المؤلمة لهذا الجيل أن أصبحت المسلمات تزوجن بالنصارى وهذا

أصبح الإسلام في تلك الجزيرة في خطر وهم بحاجة ماسة إلى من يرشدهم ويعلمهم أمور دينهم وإقامة الدراسات العلمية الإسلامية والدينية .

إننا نضع هذه الحقائق أمام المسؤولين في عالمنا الإسلامى لكي يمدوا يد العون الروحى لإخوانهم مسلمى رودس قبل أن يبتلعهم الطوفان اليونانى الذى يرغب فى القضاء على الإسلام فى كل أرض اليونان .

الإسلام والمسلمون فى جزيرة قبرص

لقد حاولت قوى الصليب الحاقدة على الإسلام منذ فترة ليست ببعيدة أن تقتلع جذور الإسلام من قبرص وأن تقضى على البقية الباقية من إخوة الإسلام فى تلك الجزيرة التى كانت كلها أرض إسلامية على مر الأيام والتاريخ ولكن تلك المحاولات قد فشلت بعد أن تصدى المسلمون لها وثبت الله دعائم دينه فى أرض قبرص التى هى الجزيرة الوحيدة من بين جزر البحر الأبيض المتوسط التى لا زالت تعيش فيها جماعات إسلامية كبيرة ترفع اسم الله وتسبح بحمده فى وسط مياه ذلك البحر المتوسط .

ولكن الذى يلقى نظرة فاحصة إلى البحر المتوسط وإلى الجزر الواقعة فيه ويعود بالذاكرة إلى قوة الأمة الإسلامية وعزها ومجدها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) يجد أن البحر المتوسط كان بحيرة إسلامية عربية تخضع جميع جزره وكل شواطئه لرؤية الإسلام الخفاقة العالية التى بسطت أنويتها على أنحاء كثيرة من العالم القديم ذلك لأنه لم تكن هناك قوة غير قوة الإسلام فى ذلك البحر بل إن الجزر الواقعة فيه من قبرص ورودس شرقاً إلى جزر البليار وسردينيا وكورسيكا غرباً كانت تخضع لرؤية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فكانت قبرص ورودس وكريت وصقلية ومالطة وكورسيكا وسردينيا وجزر البليار كلها جزر إسلامية بل أنها كانت تعتبر خط الدفاع الأول عن ديار الإسلام الواقعة على شاطئ البحر المتوسط الجنوبى والشرقى ومن ناحية أخرى كانت تعتبر خطاً للهجوم وموقعاً أمامياً متقدماً لنشر الإسلام فى قارة أوروبا .

أما عن قصة الإسلام والفتح الإسلامى لقبرص فهذا ما سنحاول أن نلقى عليه الضوء ونضعه بين يدى إخوة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها لكي يقفوا بكل قواهم لمساندة إخوانهم المسلمين فى قبرص الذين يتعرضون لخطر حملة صليبية تهدف إلى إفنائهم وصبغ الجزيرة بالصبغة المسيحية .

وقبرص التى هى محور الدراسة تعتبر من أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط وأقربها إلى ساحله الشرقى وتبعد عن تركيا وساحلها الجنوبى حوالى ٦٥ كم وعن الساحل السورى ٩٠ كم وعن الساحل المصرى ٤٠٠ كم وعن ساحل اليونان ٩٠٠ كم ويبلغ طولها ٢٣٥ كم وعرضها ٩٠ كم وتبلغ مساحتها ٩٢٥١ كم^٢. أى أن مساحتها تقترب من مساحة لبنان وتتألف أرض قبرص من سلسلة جبلية توازى الساحل الشمالى وكأنها تنمعة لجبال الأمانوس السورية وتمتد نحوها مشكلة رأس أفندريس وتوجد مرتفعات فى الوسط والجنوب الغربى وهى أكثر عرضا ويصل ارتفاعه إلى ٣١٠٠ م فى قمة ترودوس وتعتبر تنمعة لجبل الأفرع فى سوريا وتقوم بين هذين القسمين أودية وسهول تقوم فيها العاصمة نيقوسيا إضافة إلى السهول الساحلية التى تحيط بالجزيرة والتى تضيق أحيانا وتفسع أخرى .

ويزرع فى قبرص الحبوب والحمضيات والكروم والزيتون والبطاطا والدخان وتشكل الغابات بها ٢٠ ٪ من المساحة الكلية للجزيرة .

وهى من جزر شرق البحر المتوسط وتعد الثالثة فى ذلك من حيث الحجم والثانية فى القيمة التاريخية والإقتصادية وقد لعبت الجزيرة دوراً هاماً وبارزاً فى التاريخ الإسلامى يشبه الدور الذى لعبته جزيرة صقلية فى نقل حضارة الإسلام وثقافتها إلى أوروبا وهى واقعة فى الزاوية الشمالية الشرقية فى البحر الأبيض المتوسط وهى مزهلة بالسكان والبلدان وقد ذكر أبو الفدا فى كتابه البداية والنهاية أخذاً عن الواقدي أنها جزيرة غربى بلاد الشام فى البحر مغلصة لوحدها وقد كانت فى القرنين السادس وأوائل السابع الميلاديين تخضع لسيطرة البيزنطيين وتتخذ قاعدة لهم واستطاعوا من خلال وجودهم بها السيطرة على شرقى البحر المتوسط والتحكم فى طرق التجارة الرئيسية وقد أدت قبرص خدمات جليلة للبحرية البيزنطية .

نظرة عامة :

لقد وقع الكتاب الغربيون والمستشرقون في خطأ في قولهم إن العرب سكان البوادي والصحراء كانوا غير راغبين في مزاوله الملاحة البحرية في البحر المتوسط وغيره من البحار المفتوحة وأن الذين قاموا بالفتح وشاركوا فيه هم سكان المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ولكن الحقيقة التاريخية غير ذلك إذ نجد أن عرب الجزيرة ما كادوا يستقرون بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام ومصر حتى مروا البحر واستخدموه واستعانوا بالمسلمين سكان هذه البلاد في بناء الأساطيل البحرية والتجارية ولم يطل بهم الزمن حتى استطاعوا أن يصبحوا أساندة البحرية في العالم وعنه أخذ الغربيون فن الملاحة البحرية ومصطلحاتها وفن القتال البحري وفن بناء السفن والألقاب العسكرية البحرية ولم يطل بهم الاستقرار في بلاد الشام ومصر حتى استطاعوا أن يطووا جزيرة قبرص تحت راية الإسلام ويرفعوا فوق ربوعها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله

وتعتبر جزيرة قبرص أول جزر البحر المتوسط التي تطلع إليها المسلمون منذ أن قامت بحريتهم الإسلامية في القرن السابع الميلادي وذلك من أجل موقعها لتأمين فتوح المسلمين في الشام ومصر وأفريقيا ثم أنها محطة بحرية هامة للتجارة فضلاً عن ثروتها ولقد كانت المعارك لا تزال دائرة بين المسلمين والروم وكذلك فإن المهمة التي انطلق المسلمون من أجلها لم تنتهي بعد حيث لا تزال دولة الظلم والكفر تسيطر على جزء واسع من الأرض آنذاك والجاهلية لا تزال تتحكم في البشرية وأشعة النور لا تكاد تصل إلا إلى بعض الأفراد القلائل الذين لا يسمع لهم صوت ، ومهمة المسلمين كانت ولا تزال حتى اليوم ، إخراج الناس من الظلمات إلى النور والقتال حتى تدك معاول الظلم من الأرض (وما لكم ألا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) . من أجل ذلك جاهد المسلمون وقتلوا وقتلوا في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الحق وفي سبيل نشر الإسلام

في كل مكان يسكنه قوم وفوق كل أرض تشهد العمران وذلك لكي يقوموا دولة الحق والعدل والمساواة ولكي يهدموا قلاع الكفر والشرك ويرفعوا اسم الله عالياً في كل مكان .

الغزو الاسلامي زمن معاوية بن ابي سفيان :

كان معاوية بن أبي سفيان زمن ولايته على شمال الشام قد طلب من الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب أن يأذن له بالغزو في البحر المتوسط ومهاجمة الروم وسفنهم الحربية التي تهاجم الشواطئ السورية وذلك لكسر شوكتهم ومغالبتهم في البحر ، ولكن الخليفة عمر رفض ذلك الطلب لأن المسلمين لم يكن قد تمكنوا بعد من المخاطرة في البحر ولم يكن قد أتقنوا فن القتال البحري بعد وكان يخشى عليهم من خطر البحر وأهواله بعد أن كتب عمرو بن العاص للخليفة عمر واصفاً البحر وأهواله بعد أن كان عمر بن الخطاب قد طلب منه أن يصف له البحر والمخاطرة فيه . ولكن ابن الخطاب رفض طلب معاوية حرصاً على أرواح المسلمين .

ولكن تلك الرغبة ظلت حبيسة في نفس معاوية حتى تولى الخلافة الإسلامية الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان فأعاد معاوية فكرة الغزو البحري للأهوية والاستئذان من عثمان للسماح بغزو الروم في عرض البحر وذلك إظهاراً لقوة البحرية الإسلامية النامية ونشر لواء الاسلام فوق أديم الجزر الواقعة في عرض البحر المتوسط وبالذات الجزر الواقعة تجاه ساحل بلاد الشام وبعد تردد وافق الخليفة عثمان بن عفان على ذلك الطلب الذي ألح فيه معاوية كثيراً واشترط على معاوية في خطاب أرسله إليه ألا يحمل الناس على ركوب البحر كرها ، بل تكون الخدمة البحرية في الأسطول الاسلامي عن طريق التطوع وأقر معاوية بعد ذلك عبيد الله بن قيس أمير على البحر ، بعد أن كان خطاب عثمان قد وصل معاوية عام ٢٧ هـ والذي قال فيه . أما بعد فقد شهدت ما ردد به عليك عمر حين استأذنته في غزو البحر . . . وأن ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه مأذونا لك (والا فلا . . .) وكانت عملية غزو قبرص عام ٢٨ هـ غارة بحرية كما كانت في الوقت نفسه عملاً دفاعياً عن شواطئ الشام .

وقد جمع معاوية بن أبي سفيان عدداً كبيراً من سفن المدن الساحلية وفرقاً محاربة من مصر وبلاد الشام ، وقد سهل لمعاوية وللمسلمين الإعداد لهذه الغزوة بفضل استيلائهم على دور الصناعة الرومانية في الاسكندرية ومدن الشام سليمة دون أن يتمكن الروم من تخريبها .

والراجح أن هذه القوى البحرية التي جمعها معاوية لم تكن في مجموعها مكونة من العرب فقط بل اشترك فيها كثيراً من مسلمي بلاد الشام ومصر الذين كانوا حديثي عهد باعتماد الإسلام ومن هنا فإن الحماس الديني لديهم في الاشتراك في تلك الغزوة كان قوياً ، ويؤكد ذلك الرأي اشتراك السفن التجارية التي كان عليها أهل سوريا ومصر في تلك الغزوة مع ما يكفى هذه الغزوة من الملاحين الذين خبروا البحر المتوسط وعرفوا كل مكان في جزره وكذلك مروا فن القتال والملاحة الجيدة فيه والذين كانوا يقومون بالتجارة بين موانئ ذلك البحر المختلفة وخاصة بين موانئ مصر وسوريا وآسيا الصغرى وأيضاً موانئ قبرص وكريت ، وكانوا قد خبروا موانئ جزيرة قبرص وعرفوا الأماكن التي يمكن أن تلجأ إليها السفن المهاجمة والحماية من الأمواج وهبوب الرياح وهبوب العواصف البحرية القوية ، وقد أشار إلى ذلك أرشيبالد دلويس في كتاب القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط بأن العناصر الداخلة في الإسلام حديثاً من مصر وبلاد الشام كان لها دور هام وفعال في هذه الغزوة وذلك عن طريق السفن الحربية والتجارية ، في حين أن المقاتلين الشجعان الذين ظهرت طولتهم القتالية وقدرتهم الحربية هم أبناء الصحراء من الجزيرة العربية .

الاستيلاء على الجزيرة :

خرج معاوية بن أبي سفيان في مراكب كثيرة وحمل امرأته وأخته وحمل عبادة بن الصامت امرأته كذلك وكان ذلك بعد انحسار شتاء عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م وجاء إليه من مصر بسفن كثيرة أيضاً عبد الله بن أبي سرج وتمكن مع المجاهدين من المسلمين من فتح الجزيرة في نفس العام ، وحالف معاوية التوفيق في تلك

الغزوة لأن المسلمين خرجوا كمادتهم للجهاد في سبيل نصرة دين الله الخالد وأشره في شتى بقاع الأرض .

ويذكر المؤرخون العرب (ابن الأثير، البلاذري ، القلقشندي) أن الأسطول الإسلامي الذي ظلته راية الإسلام ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله قد قدر عدده بـ ١٧٠٠ ألف وسبع مائة سفينة ما بين حاملة جنود وموّن وعتاد ، وهذا يدل على القدرة العسكرية والاستعداد للحشد والتجهيز للمعركة البحرية الفاصلة من أجل الاستيلاء على الجزيرة ، كذلك الاستعداد لملاقاة أي أسطول روماني يعترض تلك القوة البحرية الكبيرة في البحر المتوسط ، واستطاع المسلمون الاستيلاء على الجزيرة في يسر وسهولة كما استولى المسلمون على غنائم كثيرة وفرضوا على الجزيرة أن يدفع سكانها للمسلمين كل عام جزية سنوية قدرها ٧٢,٠٠٠ إثنين وسبع مائة ألف قطعة من الذهب لعاصمة الخلافة الأموية دمشق واشترط المسلمون عليهم أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم وأن يعلموا المسلمين سير عدوهم من الروم إلى ديار الاسلام ، وإن ركب المسلمون البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ، ولم ينصروا عليهم أحد من أعداء الإسلام .

ومن هذا الشرط الذي يقوم فيه أهل قبرص بالتعهد بإبلاغ المسلمين عن أية إستعدادات يقوم بها الروم ، وعن تحركات سفنهم في البحر المتوسط ، يتبين لنا سر إهتمام المسلمين وقيادتهم السياسية والعسكرية بقوة الروم البحرية ، ذلك لأن الأسطول الإسلامي كان لا يزال في طور التكوين ولم يكن قد بلغ من القوة البحرية بحيث يستطيع أن ينشئ الوجود الرومي البحري في البحر المتوسط ولم يكن قد أصبح نداً للأسطول الرومي أيضاً وأن كانت قوة الأسطول الإسلامي في ذلك الوقت تعود بالدرجة الأولى إلى قوة إيمان مقاتليه وعزمهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين .

وكان لهذا النجاح الباهر الذي حققته القوة البحرية الإسلامية الناشئة أثره الكبير في تشجيع المسلمين على القيام بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم البحرية في سوريا ومصر على جزر البحر المتوسط وموانئ الدولة البيزنطية .

الغزو والاستقرار :

ولكن ما أن جاء عام ٣٢ هـ / ٦٥٢ م حتى قام أهل قبرص بنقض العهد الذي كان قد أخذته عليهم معاوية بن أبي سفيان وقاموا بمساعدة الأسطول البيزنطي للغزو في البحر ضد المسلمين ومهاجمة الشواطئ السورية ولم يقوموا بإبلاغ المسلمين عن تلك التحركات ، بل أنهم أعطوهم عدداً من السفن البحرية الخاصة بأهل الجزيرة كذلك السماح لهم باتخاذ الجزيرة وموانئها مركزاً لتجمع الأسطول البيزنطي المتجه لغزو مدن الشام الساحلية .

وإزاء هذا الهجوم البيزنطي المباغت على الشواطئ السورية ، قام معاوية عام ٣٣ هـ / ٦٥٣ م بتجهيز حملة بحرية مكونة من ٥٠٠ خمسمائة سفينة واستطاع بتلك الحملة أن يرد الصفعة للروم بأن فتح قبرص عنوة وقتل وسبي عدداً كبيراً من أهلها ولكن لما رأى أهل الجزيرة ذلك وما حل بهم من أثر نقضهم العهد، طلبوا الصلح ولكن معاوية صمم على صبغ الجزيرة بالصبغة العربية الإسلامية فقام بإعلان فتح باب الهجرة في سبيل الله أمام المسلمين إلى تلك الديار ، بل أنهم قام بنفسه بتجهيز اثني عشر ألفاً من مسلمي سوريا كلهم أهل ديوان أى مستحقى العطاء بديوان الجليش ، بل أنه سهل للراغبين في الهجرة من أجل نصرة دين الله إلى قبرص ، ورغب في الهجرة إليها من المسلمين فيما بعد ذلك لكي يتم جعل تلك الجزيرة خط دفاع أول للمسلمين عن الشواطئ السورية وخط هجوم على الموانئ البيزنطية والجزر الصغيرة المجاور لها .

وكانت أكثر الذين هاجروا أو تم تهجيرهم إلى قبرص من رجال الدولة والادارة والتجار وأصحاب الحرف الأخرى والذين عملوا على الاستقرار وقام هؤلاء المساجد في كل مكان استقرت فيه جماعات منهم في شتى أنحاء الجزيرة وأيضاً اتخذوا أماكن لقراءة القرآن الكريم وتحفيظه والعمل على نشر الإسلام بين سكان الجزيرة من النصارى ، وبعد أن استقرت الجموع الإسلامية الكبيرة بالجزيرة ، فإن معاوية ابن أبي سفيان قام فيما بعد بتجهيز أعداد كبيرة من سكان مدينة بعلبك وتهجيرهم إلى الجزيرة لكي ينضموا إلى إخوانهم في الله والذين كانوا قد سبقوهم في الهجرة

إلى تلك الديار وذلك عملاً على القضاء على كل أثر للوجود غير الإسلامى بها ولصهر كل العناصر التى على أرض الجزيرة فى بوتقة الدين الإسلامى الحنيف .

وقد قام المهاجرين الجدد ببناء المدن والقرى فى الأماكن المختلفة من الجزيرة وعملوا على إدخال الصناعات العربية الإسلامية التى اشتهرت بها المدن السورية وقاموا بفلاحة الأرض وزراعتها بعد أن استصلحوا كثير من الأراضى غير المستغلة فى الزراعة وإدخال الزراعات الغير معروفة من قبل وبناء القلاع والحصون القوية المجهزة بالمقاتلة وعملوا على إدخال الجزيرة فى طور النمو الحضارى الإسلامى وبثروا بذور الإيمان والتقوى والصلاح فى نفوس مواطن الجزيرة وظهور الحضارة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله .

ظهور البحرية الإسلامية :

من هذا العرض يمكن القول أن عهد الخليفة عثمان بن عفان كان هو عصر بداية ظهور الأسطول الإسلامى العربى فى الدولة الإسلامية الواسعة والتى اشتملت على أجزاء كبيرة من قارتي آسيا وأفريقيا ، وظهرت بداية السيادة البحرية الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط ولا سيما بعد معركة ذات الصواري والتى سيكون لها دور هام فى تأمين الشواطئ الإسلامية من غارات الروم ومن الغزو للشواطئ الجنوبية لأوروبا وهى الشواطئ المطلة على البحر المتوسط ، كما اشتملت واتسمت الدولة العربية الإسلامية اتساعاً عظيماً شملت شعوباً وأممًا عرفت بتفوقها البحرى وخبرتها البحرية الطويلة فى فن الملاحة البحرية ، وقد وجد العرب أنفسهم مضطرين إلى قتال أعدائهم فى الدين والعقيدة من الشعوب الأخرى التى لم تظلمها راية الإسلام بعد ذلك لأن تلك الشعوب لم تكن لتريد أن يظهر نور الله على أرض الشام وباقي الأراضى الأخرى التى سيطر الإسلام عليها لأنهم كانوا يرون فى ذلك خطراً عظيماً عليهم وعلى عقيدتهم الزائفة ، لذا رأى المسلمون ضرورة الحاجة إلى الاستيلاء على جزر البحر الأبيض المتوسط لاهميتها الاستراتيجية والحربية والقتالية فى الدفاع عن شواطئ سوريا وباقي مدن الشام ومصر التى رسخت فيها عقيدة الإسلام بعد أن تم إقصاء نفوذ الروم عن تلك الديار .

وكانت قبرص أول جزيرة من جزر البحر المتوسط ترفع راية التوحيد ويسكنها عدد من المسلمين في منطقة قسطنطينية عاصمة الجزيرة آنذاك وفي غيرها من المدن والقرى الأخرى والذي كان يعنى تحويل دين أهلها إلى الإسلام لانصراف وهلاء المسلمين الذين هاجروا إلى قبرص إلى الدعوة التي كانت همهم الأول إضافة إلى السلوك الذي يفرضه الإسلام على معتنقيه بحيث يكون الفرد منهم قرآنا يمشى على الأرض وهو ما يدعوا الآخرون إلى الإعجاب بهذا الدين والاندفاع للدخول فيه، كما أن هناك التكافل العظيم في المجتمع الإسلامي بحيث يشعر الإنسان بالسعادة الحقة، وأن يعيش بين ظهراني بشرية حقة لا بين ذئاب وأسود كما هو الحال في المجتمعات الأخرى التي تعيش في حكم الجاهلية، وهذا التكافل وهذه الحياة تدفع الناس نحو الإسلام فيكونون من معتنقيه .

لذلك شعر المسلمون بضرورة بناء وتسكين أسطول بحري يكون عوناً لهم في سبيل نشر الرسالة الإسلامية الخالدة ولتحقيق أغراضهم الدفاعية عن ديار الإسلام وكذلك غزو بلاد الروم ولذا فقد كانت موافقة الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان على بناء الأسطول الإسلامي وحشده بالجنود هي بداية لعظمة المسلمين البحرية فيما بعد وظهورهم بمظهر السيادة البحرية طوال خمسة قرون متتالية في البحر المتوسط الذي أصبح بحيرة إسلامية عربية ولم يعد هناك أثر لأستطول غير أسطول الدولة الإسلامية الكبرى .

يزيد بن معاوية والانسحاب من الجزيرة :

تقول المصادر العربية والأجنبية أن يزيد بن معاوية والذي خاف أباه إذ ذاك في خلافة المسلمين وتولييه أمورهم هو الذي أمر بسحب القوات الإسلامية والمسلمين المهاجرين إلى قبرص من تلك البلاد وإعادتهم إلى أوطانهم التي هاجروا منها بعد أن قد مضى على استقرارهم بالجزيرة أكثر من ثلاثين عاما قاموا في تلك الفترة بإظهار الجزيرة بالمظهر الإسلامي بعد أن أخذت ملاح الحضارة والثقافة الإسلامية تظهر للعيان على أرض قبرص لذا فبعد أن تم انسحاب المسلمين منها فإن النصارى من بقايا الرومان والذين كانوا لا يزالون يقيمون بالأجزاء الشمالية من

قبرص انتهزوا فرصة الانسحاب منها فقاموا بهدم المدن والقرى والقلاع والحصون التي كان المسلمون قد أقاموها خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة كما هدموا المساجد التي أقيمت على أرض قبرص بل أنهم محو كل أثر لأي مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية وبيدوا أن الخلافت التي حدثت في الدولة الإسلامية بشأن من هو أحق بالخلافة بعد موت معاوية بن أبي سفيان قد استدعت أن يقوم يزيد بهذا العمل الذي كان من جراه أن عاد البحر المتوسط لسلطان بينظمية مرة أخرى ، بعد أن كان أسطوطهم قد انكشف في موانيه ولم يعد له وجود أمام الأسطول الإسلامي الذي بدأ يرفع راية الإسلام خفاقة عالية في مياه البحر المتوسط وهكذا كانت الخلافت الداخلية والنزاعات من أجل توليه الخلافة الإسلامية سبباً في ضياع أرض قبرص من أيدي المسلمين بعد أن كان قد استقر بها الإسلام وأهله لمدة تزيد عن ثلاثين عاماً بعد أن كانت قد بدأت الصيغة الإسلامية العربية تظهر في الجزيرة وبعد أن كانت هذه الجزيرة قد أصبحت أرضاً إسلامية أضيفت إلى الأرض الإسلامية الأخرى التي رفرت فوقها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قبرص مرة أخرى :

لقد كان من جراء الثورات الإسلامية المتكررة والمطالبة بالحكم الإسلامي من قبل فئات عديدة سبباً في ترك الأمويين للمجال الخارجي وذلك لأنه أصبح توطيد دعائم الحكم أهم شغل لهم لذا كان مهم ضمان حياد بعض القواعد أو عدم منازلتها وبقائها بعيدة عن التعاون مع الأعداء وكانت قبرص إحدى هذه القواعد التي سعى الحكم لفرض الجزيرة عليها وإخراجها عن دائرة القتال ، لذا تكررت غزواتهم لها كلما نقض أهلها عهداً وعودتهم إليها أثر كل غزوة .

ففي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد خرجت الغزوات الإسلامية لغزو الجزيرة وقد تم تحقيق أهدافها ، ولكن الامبراطور البيزنطي جوستنسيان حاول عام (٥٧٥ / ٦٩٣ م) الكر على المسلمين فطرده أهل قبرص من جزيرتهم ولكن الروم استطاعوا دخولها ورغم هذا فان الامبراطور البيزنطي عجز عن القيام بضغط يذكر على دمشق وانتهى أمره بهزيمة منكرة ، خسر فيها

معظم قواته وذلك على حدود آسيا الصغرى وإزام تلك الهزيمة النكراء ، فإن الامبراطور البيزنطى قام بطرد الكثير من أهالى قبرص من ديارهم فلما منه أن أهل قبرص هم الذين ساعدوا وأعلموا المسلمين بخبر تلك الغزوة ، لكن هذا التصرف أثار شعوراً بالمرارة فى نفوس قواته من أهل الجنوب مما دفعهم إلى الالتجاء بسفنههم إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية وقد أضعف هذا التصرف من قبل بعض قواته المتمردة من قوة الأسطول البيزنطى .

وفى عام ١٠٩ هـ / ٧٢٦ م أغار على الجزيرة أسطول إسلامى قوى فرض عليها جزية كبيرة كالتى فرضت عليهم أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بعد أن حملوا معهم أعداد كبيرة من سكان الجزيرة واحتفظوا بهم كأسرى فى بلاد الشام وفى المقابل قامت أعداد كبيرة من سكان سوريا بالهجرة إلى قبرص وهذا أيضاً يدل دلالة قوية على الصلة التاريخية بين سوريا وقبرص وهكذا عادت الوفود الإسلامية إلى قبرص مرة أخرى ليرتفع بها نداء الله أكبر من جديد، كذلك فإنه عندما أغار الروم على مصر عام ١١٨ هـ / ٧٣٦ م قابل المسلمون هذه الغارة بهجوم على قبرص كرد فعل على ذلك وكان هذا الهجوم على قبرص عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م .

ولقد كانت قبرص ومصر هدفي الهجوم الإسلامى والرومى فى شرق البحر المتوسط أما فى القسم الغربى منه فقد كانت أساطيل المسلمين تقوم بهجوم من وقت لآخر على صقلية وسردانية والروم لا يستطيعون رد هذا الهجوم بالمثل .

قبرص والخلافة العباسية :

إنتهت دولة بنى أمية بعد أن قامت على أنقاضها دولة بنى العباس عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ولقد كانت هذه الدولة فى أول عهدها قوية لذا فإنها عملت على توطيد دعائم حكمها والمحافظة على وضعها فنقلت مركز الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد وخف الضغط الإسلامى فى أول الأمر على قبرص على الرغم من استمرار الوضع على ما كان عليه أيام الأمويين من غارات ومعااهدات من قبل المسلمين والروم ولكن هذا لم يمنع أنها كانت تدفع الجزية المقررة التى كانت تدفعها للمسلمين أيام الدولة

الأموية ولقد حدث في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد أن قام أهل الجزيرة بفتح القبر الذي كان بينهم وبين المسلمين فقام القائد المسلم حميد بن معنوق الهمداني عام (١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) على رأس حملة بحرية إسلامية كبيرة لغزو الجزيرة واستطاع حميد بن معنوق الهمداني أن يفتح الجزيرة وأن يأسر منهم أعداداً كبيرة تم نقلهم إلى بر الشام وذلك كرد على الروم الذين كانوا قد أسروا بعض السفن الإسلامية وهي في طريقها إلى مصر . وكذلك تكررت الغارات فيما بعد ، ولكن قبرص بعد فترة قصيرة استقامت للمسلمين وانطوت تحت راية الإسلام فأمر الخليفة هارون الرشيد برد من أسر منهم وجمع شمل عائلاتهم ، وفي ذلك يقول محمد بن سعد نقلاً عن الواقدي ، لم يزل أهل قبرص على صلح معاوية بن أبي سفيان حتى ولي أمر المسلمين عبد الملك بن مروان فزاد الجزيرة المقررة عليهم ألفاً دينار عما كانت عليه أيام معاوية ، واستمرت الجزيرة تدفع على ذلك المنوال حتى خلافة عمر بن عبد العزيز فرفعها عنهم ولما ولي الأمر في الدولة الإسلامية هشام بن عبد الملك ردها عليهم مرة أخرى وجرى العرف على ذلك حتى زمن الخلافة العباسية وكان في زمن خلافة جعفر المنصور فقال نحن أحق من أن نصفيهم ولم نكثر بظلمهم فردهم إلى صلح معاوية ، وأضاف محمد بن سعد فقال أحدث أهل قبرص حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن عبد الله فكتب هذا إلى بعض الفقهاء ومنهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد في أمر هؤلاء القوم فأجابوه بما في عقيدة الإسلام السمحة الحقبة العادلة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

سماحة الاسلام وتعصب المسيحية :

قال الليث بن سعد أن أهل قبرص قوم نزلتهم بغش أهل الإسلام ومناصرة أعداء الله الروم وقد قال تعالى في سورة الانفال الآية ٥٩ : « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، صدق الله العظيم ، ولم يقل سبحانه وتعالى لا تنفذ إليهم حتى تستبين خيانتهم وأنى أرى أن ننبذ إليهم .

وأما ما كتب به مالك بن أنس أن أمان أهل قبرص كان قديماً متظاهراً من

الولاء لهم وذلك لأنهم روا أن أقرارهم على حالهم ذل وإحقارهم وقوة المسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم ويعيشون به من الفرحه من عدوهم ولم أجد أحد من الولاة نقض عهدهم وصلحهم ولا أخرجهم من بلدهم وإنى أرى أن لا نعمل بنقض عهدهم ومناذتهم حتى تنمة الحجة عليهم فإن الله تعالى يقول في سورة التوبة الآية ٣ ، فأتوا إليهم عهدهم إن مدتهم إن الله يحب المتقين ، صدق الله العظيم ، فإن لم يستقيموا بعد ذلك وبدأوا غشهم ورأيت أن العذر ثابت فأوقع بهم وكان ذلك بعد العذر واستطعت النصر عليهم والظفر بهم وكان بهم الذل والحزى إن شاء الله .

تلك هي آراء علماء الإسلام وقادة الرأي والدين والذين قالوا آراءهم بالعدل والحق وتلك هي شريعة الإسلام السمحة وذلك بعكس رجال الدين النصارى الحاقدين والسكينة المتعصبين والذين كانوا يدعون الشعب والحكام وقادة البلاد إلى طرد المسلمين من الأندلس وحرقتهم والقضاء عليهم والتنكيل بهم وإنشاء محاكم التفتيش وذلك حقدًا على عقيدة الحق والعدل والمساواة وليت المجال يتسع هنا لسرد آراء النصارى المعادية للإسلام والمسلمين في شأن الأندلس وما جرى فيها من القضاء على ٣ ملايين مسلم بها وتدمير الحضارة الإسلامية .

ومن تلك الرواية التاريخية يقين لنا كيف كان قادة المسلمين يأخذون برأى فقهاء الإسلام في أمر الغزو وقد كان هؤلاء الفقهاء يتحرون الدقة والموضوعية في الإدلاء بأرائهم في تلك المسائل ويعتمدون على نصوص القرآن الكريم وآياته الحكيمة وأحاديث سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وتلك هي قبرص ودور الإسلام ، والمسلمون في فتحها منذ أن كانت أول جزيرة في البحر المتوسط يقوم المسلمون بغزوها وبسط لواء الإسلام فوق ربوعها .

وتوالى الأيام ورغم حرص المسلمين على المحافظة على العهد الذى أعطوه لأهل قبرص فإن قبضة المسلمين على الجزيرة لم تثبت ومن ثم فقد تداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية حتى استولى عليها ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م وهو في طريقه إلى بلاد الشام ليأخذ منها

قاعدة لمد الصليبيين في بلاد الشام بالمساعدات الحربية ، ثم تغير الحكم عليها من بين نطاينيين وفرنسيين حتى آلت إلى حكم أسرة لوزيان الصليبية وبعد أن تم طرد الصليبيين من الشام فإن جزءاً كبيراً منهم توجه إلى جزيرة قبرص بعد أن تجمعت القوى الصليبية الباقية في الشرق كافة في تلك الجزيرة عام ١٢٩٢/٥ م واتخذتها مقراً لها كما أصبحت شواطئها ملجأ للقراصنة الذين يغيرون على السفن الإسلامية التي تعبر البحر الأبيض ، مما سبب المتاعب لدولة المماليك في مصر والتي كان لها فضل كبير في طرد الصليبيين من ديار الشام .

وقد استولى عليها السلطان برسباى سلطان الجراكسة المماليك في مصر بعد ثلاث حملات (١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ م وأسر ملكها جانوس وظلت قبرص خاصة لمصر وتدفع لها الجزية حتى نهاية عصر المماليك ، لكن المماليك أضاعوها عام ١٤٢٦ م أيام الأشرف سيف الدين إينال واستطاع أهل البندقية أن يستولوا على الجزيرة عام ١٤٨٩ م وبقوا فيها إلى أن طردهم الأتراك العثمانيون منها عام ١٥١٨ م وبقيت الجزيرة تحت الحكم الإسلامي العثماني (أنظر المسلمون في قبرص لمحمود شاكر) .

قبرص في العهد العثماني :

بقى العثمانيون في قبرص ثلاث قرون تقريباً عملوا من بدايتها على توطيد دعائم الاسلام في الجزيرة فقد أسكن فيها السلطان سليم الثاني حامية عثمانية منذ أن فتحها وأقام فيها الدعاة ولم يمض قرن من الزمان على الفتح العثماني حتى صار المسلمون ثلاثة أضعاف النصارى فيها وهكذا أضحت قبرص بلاداً إسلامية وجزءاً من العالم الاسلامي بأرضها وأهلها وبقيت الجزيرة تحت السيادة الإسلامية العثمانية حتى عام ١٨٧٨ م حيث سمح السلطان عبد الحميد لبريطانيا باحتلال الجزيرة مقابل مساعدته على الروس بشرط أن تبقى الجزيرة تحت السيادة العثمانية وذلك لأن بريطانيا رأت أن قبرص تصلح لأن تكون قاعدة لإنجليزية في طريق الهندولدا تعهدت بدفع مبلغ من المال سنوياً قدره ٨٠٠ و٩٢ جنيه لتركيا ، وادعت بريطانيا أن الاحتلال مؤقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التي

إحتلتها واحتلت بريطانيا قبرص وأكثرت سكانها من المسلمين فعملت قبل كل شيء على إضعاف المسلمين وتشجيع النصارى من بلاد اليونان على الهجرة إليها ما دامت تضم عدداً منهم وفي سبيل ذلك زادت نسبتهم وفي نفس الوقت ضيقت على الأتراك في سبيل تخليصهم عنها والهجرة منها وقد تم هذان الأمران وقل المسلمون وانخفضت نسبتهم وزاد عدد النصارى وارتفعت نسبتهم واستمرت بريطانيا في العمل حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م كل هذا وجزيرة قبرص تتبع الدولة العثمانية إسماءً .

وكانت بريطانيا قد عرضت ضم الجزيرة إلى اليونان مقابل دخولها الحرب مع الحلفاء ضد ألمانيا وبعد ذلك أنهت بريطانيا إلحاق قبرص الاسمى بتركيا وضمها مباشرة إلى ممتلكات التاج البريطانى ومنذ ذلك الوقت أصبح عدد اليونانيون يمثل الأغلبية بين السكان وهذا يبين لنا أن الاستعمار بمختلف أشكاله الاقتصادية والسياسية والعسكرية لا يمكن الفصل بينه وبين الأثر الصليبي الذي يلعب أكبر دور في الاستعمار فبريطانيا قد عملت منذ دخولها الأرض القبرصية على إضعاف المسلمين وإذلالهم وتهجيرهم واستقدام غيرهم من النصارى .

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وحلفاؤها فاضطرت تركيا إلى التنازل عن الجزيرة بمقتضى معاهدة لوزان التي وقعت عام ١٩٢٣ ، وقد استقبل اليونانيون دخول بريطانيا الجزيرة بالترحاب وذلك بغية ضم الجزيرة إلى اليونان وقامت حركات فيها تطالب بالاتحاد مع اليونان .

والحديث عن قبرص المسلمة طوال عصور التاريخ بعد تلك الفترة يحتاج إلى دراسة طويلة إذ يدخل ذلك في نطاق التاريخ الحديث وذلك يحتاج إلى وقت أطول وصفحات أكثر وأكثر إنما ما نظرت إليه هو إلقاء الضوء في هذا البحث على تلك الجزيرة منذ القرن الأول الهجرى لىكي تكون أمام أخوة الإسلام في شتى بقاع الأرض لىكي يمدوا يد العون لإخوانهم المسلمين الأتراك في قبرص والذين أقاموا دولة إسلامية في الجزء الشمالى من الجزيرة ، وذلك من أجل الصمود أمام

الاضطط الصليبي الذي يسعى جاهداً على القضاء على تلك الفئة المسلمة من فوق أرض قبرص كما فعل ذلك من قبل في جزيرة رودس وكريت وصقلية ومالطة وسردانية وكورسيكا وجزر البليار وكلها كانت جزر إسلامية إرتفع فوقها نداء الله أكبر ورفرت فوقها راية التوحيد ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ولقد تأسست يوم ١٢ فبراير عام ١٩٧٥ م جمهورية قبرص التركية في القسم الذي بضم أغلبية مسلمة فأصبح لمسلمي الجزيرة كيان وأخذ القبارصة المسلمون الذين نزحوا من ديارهم إلى تركيا وبريطانيا وأستراليا يرجعون إلى جزيرتهم ويحاول دنكتاش رئيس الجمهورية الإسلامية تجميع المسلمين في المناطق المحرة التي أصبحت تأخذ طابعاً إسلامياً وبهذا انفتح لمسلمي قبرص عهد جديد ولم يعد هناك خطر على وجودهم بعد أن تدخلت تركيا عسكرياً في ٢ يوليو ١٩٧٤ م واستطاعت أن تسيطر على ٤٠ ٪ من أرض الجزيرة وهي التي تقوم فيها قبرص الإسلامية .

غزوة ذات الصواري ، أول إنصار بحري إسلامي

لقد عمل العرب والمسلمون منذ العهد الأول للدولة الإسلامية على رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خفاقة عالية على شتى بقاع الأرض المعمورة والغزو في سبيل الله نشر رسالتهم الإسلامية الخالدة والجهاد في سبيل الله وكانت الأمواج الزاحفة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام قد استطاعت أن تحرر تلك البلاد من قبضة الإمبراطورية البيزنطية وتضمها إلى ديار الإسلام لكي تزداد بها الأمة الإسلامية قوة ولكي يخرج جند الشام المسلم للغزو في سبيل الله مثلما خرج من قبل أخاه المسلم ابن الجزيرة العربية ، وذلك لأنه من أجل نشر عقيدة الإسلام السمحة والدفاع عنها وأيضاً الدفاع عن الأراضي الإسلامية العربية والتي بذلوا جهودهم وأرواحهم في سبيل ضمها للدولة الإسلامية التي تبعث بأبنائها من المدينة المنورة .

لكن إزاء هذه الأوضاع الجديدة والانتصارات الحربية التي أحرزها المسلمون في فترة زمنية قصيرة على الامبراطورية البيزنطية وما تلى ذلك في متغيرات في حوض البحر المتوسط الشرقي ، فإن الدولة البيزنطية بدأت تغير خططها وتضع سياسة جديدة في دفاعها وذلك لمواجهة المد الإسلامي الزاحف من الشرق ولاسترداد الأراضي التي سيطر عليها المسلمون في مصر والشام .

التحرك البيزنطي :

وإزاء ذلك قام الامبراطور البيزنطي في عام ٦٢٥ / ٦٤٥ م بتجهيز حملة بحرية مكونة من ٣٠٠ ثلاثمائة سفينة حربية وشحنها بالجنود والسلاح والعتاد القوي وجعلها في سرية تامة حتى لا يعلم المسلمون بها ولا بوجهتها وذلك لكي يقوم باسترداد مصر من أيدي العرب ، وفوجيء سكان الاسكندرية بقدرهم هذه الحملة بغتة وبدون أدنى استعداد واستطاع الروم الاسقيلاء على الاسكندرية بسهولة بل استطاعوا التقدم في أرض الدلتا والاقتراب من حصن بابليون، وكان والى مصر في ذلك الوقت عبد الله بن سرج ، وإزاء هذا الموقف وهجوم الروم فإن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رأى أن يرسل إلى مصر على عجل والىها السابق عمرو بن العاص وهو الذى يعرف القتال فيها بعد أن خبر الحرب ضد الروم في تلك الأراضي المصرية ، ولقد استطاع عمرو بن العاص أن يخلص كل الأراضي التي استولى عليها الروم وأن يسترد الاسكندرية ويأسر أعداد كبيرة من الروم ويقتل قائدهم .

وفي نفس الوقت كانت الامبراطورية البيزنطية قد أعدت حملة وخرجت تلك الحملة وكانت وجهتها بلاد الشام ولكن معاوية بن أبي سفيان استطاع بقواته الإسلامية أن يدافع دفاع الأبطال ويمنع الأسطول البيزنطي من إنزال قواته في موانئ تلك البلاد بل أنه استطاع أن ينزل الهزيمة النكراء بهم وأن يأسر أعداد كبيرة من قواتهم والتي لم تتمكن من العودة إلى سفن الأسطول وبذلك نجحت مصر والشام من محاولة الروم العسكرية في إعادة هذه البلاد إلى حضيرة الدولة البيزنطية لاستبعاد شعوبها وإذلالها بعد أن كان الإسلام قد حرر هذه الشعوب والتقى

بها مع مسلمى أهل الجزيرة العربية لأفضل عربى على اعجمى إلا بالتقوى، وساد القوم شعور إسلامى مشترك .

التفكير فى تكوين أسطول إسلامى :

ولقد كان لتلك الغزوات البيزنطية لمصر وبلاد الشام الأثر القوى فى التفكير فى الدفاع عن هذه البلاد وضرورة تكوين أسطول بحرى إسلامى وذلك للدفاع عن الأراضى الجديدة التى حررها العرب من الروم ، حقيقة أنهم ملكوا البر لكن البحر الأبيض المتوسط كان لا يزال فى قبضة البيزنطيين وربما لم يشعر العرب شعوراً كاملاً بالخطر إلا بعد هذه الحملات ذلك لأنه منذ فجر الإسلام كانوا قد بعثوا عن ركوب مياه البحر العميقة ولكن السياسة الحكيمة أشادت بارتياحها والمغامرة فيها فالوضع الجديد قد جعل مصر وسوريا بلاداً لا يمكن عزلها عن البحر المتوسط وأن نظرة سريعة إلى الخريطة الجغرافية ترينا كيف أن هذه البلاد أكثر اتجاهاً إلى البحر منها إلى البر وأن العرب إذا ما انصرفوا عن البحر لهددهم الروم وداوموا الغارات على هذه الشواطئ لأنه لا يوجد أسطول إسلامى يستطيع أن يرد كيد هذه الاغارة عليهم كذلك فإنهم إذا أهملوا العلاقات الاقتصادية التى تقوم بين هذه البلاد وبلاد البحر المتوسط لنضبت موارد مصر والشام، ولذا سرعان ما اندمج فاتحوا مصر وسوريا فى حياة البحر .

وكان مما دعا عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث إلى التفكير جدياً فى إنشاء أسطول إسلامى عربى تعرض مصر والشام لمحاولة بيزنطية لإعادة البلاد إلى الحكم البيزنطى مرة أخرى ، ومنذ ذلك الوقت رأى المسلمون ضرورة الاهتمام بالأسطول البحرى وضرورة بناء قوة إسلامية بحرية لحماية الشواطئ الإسلامية وصد غارات الروم المتوقعة ومن ثم بدأ فى تكوين الأسطول وتدريب الرجال على فن القتال البحرى وتجميع السفن فى موانئ إسلامية معينة وحشدتها لمواجهة أية غارة بيزنطية .

عودة الصراع :

ولكن الامبراطور البيزنطى الذى هاله الفشل فى إسترداد مصر والشام لم يقف مكتوف الايدى أمام هذا الفشل ، بل إنه جهز حملة بحرية مكونة من ٦٠٠ سفينة وذلك فى عام ٢٤ هـ بقيادة الامبراطور كنسانس الثانى لغزو الاسكندرية واستردادها مرة أخرى من المسلمين وكان الى مصر حينئذ عبد الله بن أبى سرج وكان الأسطول المصرى قد بدأ يشتد عوده وكثرت سفنه وزادت عدته وتم تجهيزه بأشجع الجنود الإسلامى . خرج بقيادة والى مصر عبد الله بن أبى سرج للقاء الأسطول البيزنطى المتجه إلى مصر وكان ذلك عام ٣٤ هـ / ٦٥٦ م ، وكان معاراة بن أبى سفيان قد علم بوجهة هذا الأسطول عن طريق الاستخبارات الإسلامية التى كانت ترصد تحركات الأسطول البيزنطى منذ أن هاجم مصر وسوريا لأول مرة فأرسل إليه أسطولاً بقيادة يسر بن أرطاة ليتعاون مع الأسطول المصرى فى صد الروم ، بل أن أرشبالد لويس . يقدر الأسطول البيزنطى بما بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ألف سفينة حربية ، وتقول بعض المصادر التاريخية أن معاوية بن أبى سفيان خرج بنفسه على رأس أسطول الشام واتحد الأسطولين الشامى والمصرى تحت قيادة واحدة وابحر الأسطول الإسلامى شرقاً لىكى يحول دون وصول الأسطول البيزنطى إلى الهدف الذى يسعى إليه وهو الإبحار غرباً ومهاجمة الاسكندرية . وكان أسطول المسلمين مكون من ٣٠٠ سفينة حربية صغيرة تحرك لينزال أسطول بيزنطية المكون من ١٠٠٠ ألف سفينة حربية واستقاع الأسطول الإسلامى أن يهزم على الأسطول البيزنطى قرب شواطئ ليكيا بآسيا الصغرى .

يرموك أخرى :

وأبهر المسلمون فى جرأة منقطة النظير مقتربين من سفن العدو ، بعد أن كانوا قد باتوا ليلتهم الأولى يقرأون القرآن الكريم بينما أخذ الروم يقرعوا النواقيس ، وقرب المسلمين سفنهم فربعوا بعضها بعض بل أكثر من ذلك فإن المسلمين أقدموا

عل خطوة كانت فى غاية الجرأة والشجاعة وقد تكون الأولى فى فن القتال البحرى إذ قاموا بالليل بربط السفن الإسلامية بالسفن البيزنطية بسلاسل حديدية قوية ، وعند الفجر حارب الجند المسلم أول معركة بحرية فى تاريخ الدولة الإسلامية الفتية التى تحارب من أجل الحق والعدل والمساواة ومن أجل تحرير البشرية من سيطرة العبودية والذل ، وارتفع نداء الله أكبر ، نداء لا إله إلا الله محمد رسول الله ، النصر للإسلام ، حتى غطى صوت السيوف على كل نداء ، والتحم الجند فى معركة حامية الوطيس يريد النصر لله أو الاستشهاد فى سبيل الله .

واقبلوا بالسيوف والخنجر ، ودارت المعركة وكانت معركة دامية وثبت الجندى المسلم ثباتا عظيما وقتل من المسلمين خلقا كثيرا ومن الروم خلقا أكثر لا يحصى عدده ، وصبر المسلمون يومئذ صبرا عظيما وأبلوا بلاءا حسنا وكيف لا وهم الذين دحروا الروم فى البر ، فكيف لا يتم دحرهم فى البحر وكانت بحريتهم الإسلامية قد تشجعت على القتال فى عرض البحر بعد أن تم الانتصار لهم فى غزو قبرص عام ٦٢٨ هـ / ٦٤٨ م ، وأنزل الله جنداً يقاتل فى صف المسلمين وحقت كلمة الله على الكافرين وكتب النصر لعباده المجاهدين .

ووصف أحد مؤرخى الروم المعاصرين لتلك المعركة (بشوفانس ، بأنها كانت يرموكا ثانية على الروم ، ووصفها ابن جرير الطبرى المؤرخ العربى فقال أن الدم كان غالبا على الماء فى هذه المعركة العنيفة وأن الأمواج طرحت جثث القتلى ركاما ولقد كانت بثينه الجميلة الجريئة زوجة القائد عبد الله بن أبى سرج ، على ظهر إحدى السفن ، ولقد روت كيف أن قائد المسلمين كاد أن يقع فى الأسر لولا أحد الجنود ألقى بنفسه على السلاسل التى كانت تربط سفينة القائد بسفينة بيزنطية واستطاع أن يقطع هذه السلاسل بسيفه وبذلك كسبت النجاة للقائد واستطاع أن يعود مع قواته سالما بعد أن حقق النصر .

أما قائد الروم فقد هرب من المعركة بعد أن خسرها وهرب بنفسه إلى صقلية حيث عنفه أهلها لجبنه وهربه من ميدان المعركة وكان بما قالوه له لقد أهلك

النصرانية وأفنيت رجالها وتسببت في هلاك الروم لو أننا العرب الآن لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه .

ويقول أحد مؤرخي المسلمين أنه أطلق على هذه المعركة البحرية العنيفة اسم ذات الصواري وذلك لكثرة صواري السفن الحربية التي اشتركت في القتال في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة ساحقة للروم وأسطولهم ولم ينجوا من تلك المعركة إلا الشريد وتم تحطيم الأسطول الرومي نهائياً ومن بقى منه وقع في الأسر لدى المسلمين حتى أن الإمبراطور قسطنطين بن هرقل كاد أن يقع أسيراً في أيدي المسلمين ، وبذلك انتهت معركة ذات الصواري التي تعتبر أول نصر عربي إسلامي في معركة حربية تتم فيها المواجهة المباشرة بين السفن الإسلامية والبيزنطية ويبدو أن انتصار العرب والمسلمين جاء نتيجة لحظوظ حربية غير عادية إذ أن ربط السفن الإسلامية بعضها إلى بعض بسلاسل حديدية ثقيلة ، وربط سفن الروم بسفن المسلمين بالليل ، قد جعل من المحال على أعداء الإسلام اختراق السفن الإسلامية المتراسة ، كما أن استخدام المسلون في تلك المعركة لحظاظيف طويلة يصدون بها صواري وأشرعة سفن الأعداء ، هو الأمر الذي أدى إلى حدوث كارثة بالفسجة للأسطول الرومي وانتصار الأسطول الإسلامي على الأسطول البيزنطي انتصاراً ساحقاً .

وما يلفت النظر أن المكان الذي دارت فيه هذه المعركة وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم في صواري السفن ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الحشب اللازم لصناعة السفن الإسلامية وبين وقوعه في أيدي العرب وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلاً على أهمية الحشب في الصراع البحري بين بيزنطية والمسلمين .

وبعد هذا الانتصار البحري العظيم الذي حققه المسلمون آخر العمليات البحرية التي استمرت أكثر من عشر سنوات بين الطرفين إذ توقف المسلمون بعد هذا النجاح ولم يحاول البيزنطيون أيضاً معاودة نشاطهم البحري ، ويرجع ذلك إلى وجود مشاكل داخلية عند كل الطرفين ، جعلت من مصلحة المتنازعين أن يوقفاً خلا الحرب البحرية دون معاهدة ، ففي الجانب الإسلامي شغل معاوية بن

أبي سفيان بنزاعه مع الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب حول موضوع الخلافة واستغرق الأمر أكثر من عشرة سنوات إلى أن إستقرت الخلافة الاسلامية في دمشق وأصبح معاوية في حالة تسمح له بتجديد نشاطه البحري ضد أعدائه البيزنطيين .

المهم أن هذه المعركة هي موقعة هامة إذ أطمأن المسلمون بها على إمكان تفوقهم العسكري بعد أن انتصروا على صاحبة أقوى بحرية معاصرة وقد شجعهم ذلك على أن يولوا البحرية الاسلامية أكبر عناية ذلك لأن معاوية بن أبي سفيان سواء أكان في ولايته أو خلافته هو صاحب الفضل الأول في إرتياد المسلمين البحر وتنظيم البحرية الاسلامية ويقال أن ما أنفق في بناء السفن في مصر فقط قد بلغ نحو سبعة آلاف دينار سنوياً وذلك خلال الأربعين سنة التي تلت الفتح العربي الاسلامي لمصر .

كذلك فقد وضعت هذه المعركة حداً فاصلاً لسياسة الروم العدوانية والاستفزازية إزاء العرب والمسلمين بل أنهم أدرکوا تمام الإدراك بعد هذه المعارك البرية والبحرية ، أن أية محاولة من جانبهم سواء أكانت بحرية أو برية لاسترداد الشام أو مصر أو أية أجزاء أخرى من أجزاء الدولة الاسلامية محكوم عليها بالفشل ولن تكون لها أى أثر حاسم ، بل أن الأجدد بالروم وإمبراطورهم أن يتنبهوا ويحاولوا وقف الهجوم الاسلامي الذي بدأ يتطلع لغزو القسطنطينية بعد هذا الانتصار الاسلامي البحري الساحق في تلك المعركة .

بل الأكثر من ذلك فإن هناك بعض الآراء التي تحدثت عن هذه المعركة الميمونة وحلت نتائجها وآثارها تحليلاً ، علمياً دقيقاً فقالت أن المسلمين لم يستطيعوا أن يستفيدوا ويستغلوا هذا الانتصار استغلالاً يعود عليهم بنصر سريع آخر ويحقق لهم فتح القسطنطينية ، إذ أن المسلمون لو تقدموا بعد تلك المعركة مباشرة لغزو القسطنطينية لتغير وجه التاريخ الاسلامي في تلك المنطقة تغيراً جذرياً ولسقطت القسطنطينية في أيدي المسلمين بمنتهى السهولة ولتمكنت القوات الاسلامية من وضع أقدامها على مفتاح أوروبا الشرق ثم الانسياح في الأقاليم الأوروبية بعد ذلك ،

إذ أن الإمبراطور البيزنطي وقواده الباقين بعد المعركة وكبار دولته بعد قتل الإمبراطور في صقلية ، كانوا في حالة من الترقق ، وسادت دولتهم حالة من الفوضى الداخلية استمرت أكثر من عشر سنوات ، بل أن الظروف كانت مهيأة تمام التهيئة لغزو عاصمة الروم .

ولكن يبدو أن المسلمون اكتفوا بهم — هذا النصر الذي حققوه على بيزنطية واستطاعوا كسر شوكتها البحرية بل وضع حد لغطرستها .

ولقد كانت تلك المعركة للبحرية التي حقق فيها المسلمون وجودهم البحري لأول مرة في تاريخ الإسلام مقدمة هامة وبداية على طريق التفوق البحري الإسلامي . ومبدأ لبناء أسطول إسلامي قوى وكذلك إيجاد النظرة الثاقبة للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وإطواء كل جزره الواقعة فيه من الشرق إلى الغرب تحت السيادة الإسلامية حتى يصبح هذا البحر بجزراً عربياً إسلامياً صرفاً وقد تم لهم ذلك فيما بعد إذ تحققت لهم السيادة على كل الجزر وصار البحر بجزراً إسلامياً طوال أربعة قرون متواصلة .

الإسلام والمسلمون في بلغاريا

لقد تطلع المسلمون الأوائل منذ صدر الإسلام إلى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وضمها إلى دولة الاسلام الكبرى ولم يكن فتح المدينة بالنسبة للمسلمين إلا بداية لمرحلة يتم بعدها التوغل إلى أوروبا من الشرق وتكون القسطنطينية رأس جسر للانسيح من خلالها إلى سهول أوروبا الشرقية ، لذا فقد بدأ المسلمون منذ عهد معاوية بن أبي سفيان يتجهون إلى غزو القسطنطينية ومحاولة فتحها ، ولكن وفاة معاوية والأحداث الداخلية في الدولة الإسلامية حالت دون إتمام الفتح ، وقام المسلمون أيضاً في عهد سليمان بن عبد الملك بغزوة ثانية لفتحها وإطوائها تحت الراية الإسلامية لكن هناك ظروفًا حالت دون إتمام الفتح ووقف المسلمون أمام هذه المدينة دون إخضاعها ولكن مع ذلك فقد نال فتح القسطنطينية أملاً يداعب أفئدة المسلمين ويسيطر على أفسكارهم، وفي عهد الدولة

العباسية فإن المسلمين عاودوا الكر عليها مرتين الأولى في عهد الخليفة المهدي والثانية في عهد الخليفة هارون الرشيد .

وعلى الرغم من أن هذه الغزوات الإسلامية المتكررة لتلك المدينة لم تمكن المسلمين من القدرة على احتوائها وضمها لدولة الإسلام الكبرى ، إلا أن القسطنطينية لم تقف حائلا دون المد الإسلامي إلى ما يعرف اليوم بأوروبا الشرقية كبلغاريا والمجر وسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية ، ومع هذا فإننا نجد أن الرسالة الإسلامية السمحة استطاعت أن تتخطى تلك المدينة غرباً وأن تتجاوزها لكي تمتد إلى سهول أوروبا الشرقية ولذا فقد أصبحت تلك المدينة رأس بلا جسد ، بعد أن بلغ المد الإسلامي كل الأرجاء المحيطة بها واستطاع أن يصل إلى بلاد الصقالية أو ما يعرف باسم بلغاريا ، حيث انتشر الإسلام وعقيدته السمحة في تلك الديار .

وموضوع الدراسة الذي نقدمه هنا للقارئ العربي والمسلم في كل مكان هو بلغاريا والتي هي دولة شيوعية بلقانية مساحتها ١١٠ر٩١٢ كيلومتر مربع وعاصمتها صوفيا ، ويحد بلغاريا من الشمال رومانيا ومن الجنوب تركيا واليونان ومن الشرق البحر الأسود ومن الغرب يوغسلافيا ، ويتكون وسط البلاد من جبال البلقان بينما تنتشر سهول الدانوب في الشمال وجبال الرودوبلا في الجنوب .

وعن حدودها السياسية في الفترة التي دخل فيها الإسلام والمسلمين في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي فإن بلاد الصقالية ، بلغاريا ، كانت تشمل مساحات واسعة وكبرى من شرق أوروبا والحدود الحالية ظهرت للعالم بعد الحرب العالمية الثانية وانضمامها إلى دول المحور الشيوعي .

انتشار الإسلام :

أما عن انتشار الإسلام بها واعتناق أهلها للديانة الإسلامية واتصالها بالعالم الإسلامي وخاصة الخلافة العباسية في بغداد في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فهو ما سنحاول إلقاء الضوء عليه مع إعطاء نبذة بعد ذلك عن الإسلام في عهد الأتراك العثمانيين والوضع الحالي للمسلمين .

تذكر الروايات التاريخية أن الاسلام دخل بلغاريا عن طريق الهجرات الاسلامية الفردية وعن طريق الجهود التي كان يقوم بها الدعاة المسلمون من أجل نشر الدين الإسلامي الخفيف في شتى بقاع الأرض مثلما انتشر في أجزاء كثيرة أخرى من العالم مثل جنوب شرق آسيا أندونيسيا، الفلبين، ماليزيا وكذلك الانتشار السريع والقوى في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وشرق أوروبا وكل جزء من أجزاء العالم التي وصل إليها الدين الإسلامي عن طريق الدعاة والتجار وأن أهلها اعتنقوا الاسلام دون فتح أو غزو .

كذلك فإن المصادر العربية الإسلامية لم تذكر شيئاً مطلقاً عن قيام المسلمين بغزو هذه الأراضي ولا عن تقدم قوات إسلامية لفتحها ، إلا أن الإرادة الإلهية شامت أن ترتفع فوق ربوعها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، في وقت بلغت فيه الدولة الإسلامية أقصى اتساعها وأزهى عصورها .

ولم يعرف على وجه التحديد تاريخ دخول الاسلام إلى تلك الديار واعتناق بعض أفرادها لذلك الدين ، وإن كانت الأحداث القادمة تؤكد بأن الاسلام قد وصل إلى بلغاريا عام ٥٥ هـ ويستدل بعض المؤرخين على ذلك أن الحملة الإسلامية الأولى التي خرجت لغزو القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية والتي استمرت فترة سبع سنوات في حصارها وهذا ما استدعى قائدها أن يأمر المقاتلين المسلمين بإقامة المساكن وحفر الخنادق انقضاء لبرد الشتاء والقيام بالزراعة والإنتاج في الأراضي الواسعة المحيطة بمدينة القسطنطينية لقطع المعونة عن المدينة من المناطق القريبة ، وبذلك فقد أنساح بعض المسلمين في السهول الواسعة الممتدة غرباً حتى وصلوا إلى بلاد الصقالبة ، وقد انقطع الاتصال بينهم وبين باقي القوات الإسلامية المحاصرة لمدينة القسطنطينية ولكن تلك الرواية ضعيفة المصدر ولكن هناك احتمال لتصديقها .

ويندكر لنا أرشبالد لويس في كتاب القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، أن القسطنطينية عندما تعرضت للغزوة الإسلامية الثانية في عهد سليمان ابن عبد الملك حاصرها حصاراً شديداً حتى كادت أن تسقط فإن المدينة استغاثت

بالصقالبة سكان المناطق الغربية والقريين منها وقد قام هؤلاء بمهاجمة مؤخرة الجيش الاسلامي واشتبكوا معه في قتال وربما يكون قد وقع بعض الأسرى في أيدي البلغار من المسلمين وهذا هو شأن كل المعارك وأن هؤلاء الأسرى كانوا بالإضافة إلى إخوانهم مقاتلي الحملة الأولى هم النواة الأولى للمسلمين في بلاد البلغار وإنهم ربما يكونون قد قاموا بالدعوة لدين الله بين هؤلاء الأقوام الذين لم تكن المسيحية قد بدأت تنتشر بينهم على نطاق واسع .

الدخول في الاسلام :

ويذكر لنا ياقوت الخوى في كتاب معجم البلدان أن الاسلام قد انتشر على نطاق واسع في بلغاريا واعتنقه غالبية الشعب البلغارى في منتصف القرن الثالث الهجرى وهذا يتفانى مع الكتاب الحديث الاصدار وهو المسلمون في أوروبا وأمريكا مؤلفه على المنتصر السكتاني الذى يقول إن سكان بلغاريا قد اعتنقوا المسيحية عام ٨٦٥ م أى في القرن الثالث الهجرى وان ما ذكره ياقوت الخوى في كتابه والذي يسوق فيه حجة قوية لاشك في صحتها وهو المؤكد وهى أن ملك بلاد البلغار قد اعتنق الدين الاسلامى هو ورعيته وأسرته المالكة وأن الاسلام قد أصبح الدين الرسمى للبلاد بعد اعتناق الملك لدين الله الخالد ودخول أكرية السكان فيه وعمل الملك عن نشره بين البقية الباقية من الشعب البلغارى وذلك في القرن الثالث الهجرى .

العلاقات بين الخلافة العباسية وبلغاريا :

ويذكر ياقوت الخوى بأن ملك البلغار دالمس بن شكل بطشورا ، قد أرسل للخليفة العباس المقتدر بالله في بغداد رسالة مع رسول يعرفه فيها باعتناقه الاسلام هو ورعيته ويسأل الخليفة لإرسال بعض العلماء والفقهاء المسلمين لكي يعلموه ورعيته الصلاة وتعاليم الدين الاسلامى الصحيحة الخالية من البدع ، ويعلم أيضاً أنه يريد أن يحكم ويقيم الشريعة الاسلامية في مملكته وأنه يريد أن يقيم علاقات طيبة مع البلاد الاسلامية وهذه الرسالة المتبادلة بين الخليفة العباس وملك البلغار بطشورا كانت عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م .

ويذكر ياقوت بأنه لا يعرف السبب في إسلام الملك وأسرته الحاكمة وبعض أفراد رعيته والسكن الذي لاشك فيه أن هذا الدخول في دين الله أفواجا قد تم عن طريق بعض المسلمين في بلاط الملك البلغاري وأنهم هم الذين كانوا السبب في إسلامه هو وبعض رعيته بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام ولا يستبعد انتشار بعض الدعاة من المسلمين في بلاد البلغار ، وقد يكون من بينهم بعض الذين كانوا يقومون بأعمال التجارة والصناعة والحرف الأخرى ويؤيد ذلك ما جاء في رسالة الوفد الإسلامي في بلغاريا بأنه كان يوجد في بلاط الملك « تروى ، خياط مسلم كان يعمل خياطاً للملك وأسرته .

وربما قد يكون هناك بعض المستشارين العسكريين للملك من الذين تم أسرهم في غزوه القسطنطينية الثانية أو من أبنائهم ويذكر المستشرق بارتولد في كتابه تاريخ الحضارة الإسلامية بأنه كان يوجد في أوائل القرن الثالث الهجري مدرب عربي مسلم يقوم بتدريب جيش البلغار على فن القتال . وقد يكون هؤلاء قد خرجوا من بلاد الإسلام يدفعهم الحاس لدينهم الإسلامي إلى الرحيل إلى بلاد بعيدة لم يعرف أهلها الإسلام بعد ولم يسمعوا عنه ومن هنا فإنهم يدعون لدينهم الخفيف بين تلك الشعوب الأوروبية ومن ثم كان وصولهم إلى بلغاريا .

وقد يكون الدافع لإرسال ملك البلغار لرسالته إلى الخليفة العباس المقتدر هو وجود تلك الأعداد من المسلمين المقربين في بلاطه وربما هم الذين أشاروا عليه بإرسال تلك الرسالة ، ويؤكد ذلك ما جاء على لسان حامل رسالة الخليفة بأنه قضى بضعة أيام في ضيافة مسلم من أهل بغداد .

مشاهدات الوفد الإسلامي :

تذكر الروايات التاريخية أن أحمد بن فضلان العباسي بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر الخليفة العباسي إلى ملك البلغار ، وقد كتب رسالة ذكر فيها مشاهدته منذ ترك بغداد عاصمة الدولة العباسية في طريقه إلى عاصمة البلغار حتى عودته مرة أخرى إلى دار الخلافة ، وما جاء في رسالته أن الرحلة قد بدأت

في الحادى عشر من شهر صفر عام ٣٠٩ هـ وأنهم وصلوا إلى عاصمة ملك البلغار
في الثانى عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هـ ومن هذه الفترة التى تقرب من العام يتبين
لنا طول المسافة بين بغداد وعاصمة البلغار التى ذكرها الوفد بالمراحل والفراسخ
وحددها بين بغداد والقسطنطينية وبين القسطنطينية وعاصمة البلغار .

ويضيف رسول المقتدر بالله بأن الرسالة التى أرسلها ملك البلغار يذكر فيها
بأنه يريد من الخليفة أن يرسل له على وجه السرعة من يفقه فى الاسلام ويعرفه
شرائعه السمحة ويبنى له مسجداً ضخماً فى العاصمة وينصب له منبراً لى يقيم عليه
الدعوة للاسلام فى جميع بلدان مملكته وأنه سوف يقوم بإرسال علماء الدين
الاسلامى الذين يفدون من بغداد إلى شتى أنحاء مملكته لى ينشروا الاسلام
ويدعوا له بين كل أفراد الشعب وكذلك فإنه يرغب فى من يقوم له ببناء حصن
يتمحصن فيه وأسرته من الملوك المخالفين للعقيدة الاسلامية والذين ربما يهاجمونه
نظراً لدعوته إلى الاسلام بين أفراد رعيته وعمله على أن تصبح بلاد الصقالية
كلها تدين بالدين الاسلامى .

وقد أجب ملك البلغار إلى طلبه وكان السفير إليه نذير الحزم ، أحد
رجال البلاط العباسى فى بغداد الذى اشتهر بقوة إيمانه وتحمسه لنشر الدين
الاسلامى وقوة حجته بالاضافة إلى أنه صاحب معه كل ماطلبه ملك البلغار من
الخلافة العباسية فى رسالته بالاضافة إلى بعض رجال الجيش الذين كانوا لهم الفضل
فى تدريب الجيش البغارى ، وقد درب هؤلاء الجيش البغارى على ركوب الخيل
وتسلق القلاع ومهاجمة الحصون وقد ساعد وجود هؤلاء المدربين على انتصار
البلغار فى حروبهم ضد الدولة البيزنطية .

الوفد الاسلامى فى بلغاريا :

لقد أعطى لنا سفير الخليفة وصفاً رائعاً لبلاد البلغار وتحدث عن أحوال
الشعب وطرق معيشتهم وملابسهم وطريقة بناء مساكنهم (أنظر ياغوت الحموى ،
بلغاريا ، معجم البلدان) وعاداتهم وتقاليدهم ، ويصف لنا الاستقبال الرائع

الذى قوبل به الوفد العباسى الاسلامى عند وصوله إلى القصر الملكى فيقول
 « لقد استقبلنا الملوك الأربعة الذين تحت يديه وأخوته وأولاده ، . . . استقبلونا
 ومعهم الخبز واللحم وعند مدخل القصر الملكى تلقانا الملك « بلطوار » بنفسه ،
 ولما رأنا خر ساجداً لله شاكرآ له على وصول وفد الخليفة إلى بلاده واستجابة
 الخليفة المقتدر بالله لرسالته وتحقيق مطالبه ، وكان في كمه دراهم ذهبية نثرها علينا
 ونصب لنا قباباً نزلنا بها وقام بجمع ملوك أرضه « أمراء الأقاليم » وخواصه
 شعبه وذلك لكي يستمعوا إلى قراءة الكتاب المرسل من الخليفة العباسى ولم يذكر
 لنا رئيس الوفد هل كان يوجد مترجم في بلاط الملك يعرف اللغة العربية واللغة
 الصقلية لغة البلغار .

ويضيف السفير ثم ألبسنا الملك لباس السواد وهو شعار الدولة العباسية
 وعممناه وقرأنا عليه كتاب الخليفة وكتاب الوزير هارون بن العباس ، ونثر أصحابه
 الدراهم علينا وربما تكون تلك عاداتهم في استقبال الوفود الرسمية الكبيرة
 ثم أخرجنا له الهدايا المرسله من الخليفة ووزيره وعرضناها عليه ثم خلعنا على
 امرأته أيضاً وكانت جالسة بجواره . ويقول رئيس الوفد نذير الحزمى « إنه كان
 يخاطب الملك البلغار في المساجد قبل وصولنا بالآتى « اللهم أصلح الملك بلطوار
 ملك البلغار فقلت له ، إن الله هو الملك ولا يجوز أن يخاطب له بهذا الاسم لأحد
 سيما على المنابر في المساجد وهذا مولاك أمير المؤمنين قد وصى لنفسه أن يقال له
 على منابر في الشرق والغرب اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الامام المقتدر
 أمير المؤمنين ، ثم قال كيف يجوز أن يقال ، فقلت له يذكر اسمك واسم أبيك .
 ثم قال إن أبى كان كافراً وأنا أيضاً ما أحب أن يذكر اسمى الذى سماني به كافراً ،
 ولكن ما اسم مولاك أمير المؤمنين الخليفة فقلت جعفر فقال يجوز أن أتسمى
 باسمه فقلت نعم فقال فقد جعلت اسمى جعفر واسم أبى عبد الله وتقدم إلى
 الخطيب الذى يخاطب في مسجد العاصمة بذلك وطلب منه أن يخاطب له ، اللهم
 أصلح عبدك جعفر بن عبد الله ملك البلغار مولى أمير المؤمنين .

بل أكثر من ذلك فإنه أصدر مذكوراً وزعه وأعلنه على الشعب وحكام الأقاليم
 بأن اسمه أصبح من الآن فصاعداً جعفر بن عبد الله بدلا من المسى بن شكلى

• بطوار ، وصارت كل المسكنات والمراسلات تصدر باسم جعفر بن عبد الله ملك البلغار ، ومن تلك الرواية التاريخية التي رواها لنا رسول الخليفة العباسي يتبين لنا أن الاسلام الدين السمح والرسالة الخالدة خاتمة الرسالات السماوية قد اعتنقها ملوك الأرض في يسر وسهولة وأقبلوا على دخول الدين الخفيف أفواجاً ، تدفعهم الرغبة والخماس للاسلام في الانطواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بل الأكثر من ذلك فإن ملوك البلاد قد عملوا على الدعوة للدين الجديد ومن ذلك نرى أن ملك البلغار يعمل بنفسه وأسرته الحاكمة لتسكين الدعوة والفقهاء والعلماء الذين وصلوا من البلاد الاسلامية وخاصة بغداد للدعوة بين شعبه ورعيته بل الدعوة بين الشعوب المجاورة وهذا يدل على مدى الخماس والايان برسالة الحق والعدل رسالة السماء خاتمة الرسالات .

إنتشار الاسلام من بلغاريا إلى المجر :

ويدل على ذلك ما ذكره أيضاً ياقوت الخوى من أن الاسلام انتشر من بلغاريا حتى وصل إلى المجر غرباً ، وهذا يعود للدير الكبير الذي قام به ملك البلغار المسلم وللتسهيلات التي منحها للدعاة وفي ذلك يقول إنه تقابل في حماة مع بعض الأهلالي من المجر وأنهم حدثوه برواية وهي أن الاسلام قد وصل إلى بلادهم عن طريق بلغاريا وهذا أبلغ دليل على نشاط الدعاة المسلمين في نشر الاسلام في قلب أوروبا .

ويذكر مسلبو المجر في روايتهم لياقوت أن جماعة من مسلمي بلاد البلغار قد قدموا منذ فترة طويلة إلى بلادهم وسكنوا بينهم وتلطفوا في تعريفهم ما هم فيه من الضلال والكفر وأرشدوهم إلى الصواب وهو اعتناق الدين الاسلامي الخفيف فهداهم الله واتخذته أسلموا جميعاً وشرح الله صدورهم للإيمان .

وتلك هي صفحة من صفحات الجهاد الاسلامي المتواصل في القارة الأوروبية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) والتي تدل على ما بذله الدعاة المسلمين في الوصول بتلك الرسالة إلى تلك الأفضاع كذلك تدل على مدى حماس الشعوب الأوروبية للاسلام وتقبلها للدين الاسلامي ورغبتها في اعتناقه والايان بمحمد

رسول الله والإنطواء تحت الراية الإسلامية الحفاقة العالية المنتشرة في كثير من الأرجاء وإحساسهم بالعزة والكرامة والقوة وهم ينطوون تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، في وقت كانت تعيش فيه شعوب شمال أوروبا في عصور الجهل والظلم والوحشية ولم تكن مبادئ الحضارة والمدنية قد بدأت تصل إليهم بعد، ولكن إخوانهم شعوب البلغار والمجر كانوا قد اعتنقوا الإسلام وتشربوا حضارته الراقية.

الإسلام في العصر العثماني :

في حركة المد الإسلامي التي قام بها العثمانيون في شرق أوروبا نجد أنهم فتحوا مدينة بلوفديف في أرض بلغاريا عام ١٣٦٣ م بعد إتمام فتحهم لأدرنة أيام السلطان أردخان، ثم فتحوا صوفيا عام ١٣٨٥ م ولم تصل عام ١٣٩٣ م حتى كانت بلغاريا كلها تحت الحكم العثماني وقد دام حكم العثمانيين للبلاد في الجنوب ٥٤٥ سنة وفي الشمال ٥١٥ سنة وعندما دخل العثمانيون إلى تلك البلاد أخذ الكثير من البلغار. يعتنقون الدين الإسلامي لأن البلغار قوم من أصل تركي ورجع الكثير إلى اللغة التركية لغتهم القديمة، بينما حافظ من اعتنق الإسلام منهم في القرن السابع عشر الميلادي على لغته البلغارية، والمسلمون في بلغاريا ثلاث قوميات الأتراك والبلغار والغجر، وعندما استقلت البلاد عن تركيا عام ١٩٠٨ م كان المسلمون يشكلون أكثرية الشعب البلغاري. ولكن بعد الاستقلال اضطروا تحت كثير من الوسائل والمضايقات إلى الهجرة إلى تركيا وقد أدى ذلك إلى انخفاض نسبتهم في البلاد.

ولكن عندما تولى الحزب الشيوعي الحكم في البلاد قامت حركة طرد للمسلمين من البلاد قتم طرد ١٦٠.٠٠٠ ألف مسلم تركي إلى تركيا عام ١٩٥١ م وفي السنوات الأخيرة ١٩٧٢ م سمح لمن لهم أقارب خارج بلغاريا أن يلتحقوا بهم فأدى ذلك إلى هجرة ١٠,٦٣٢ مسلم، ويكثر المسلمون الآن في المناطق التي تجاوز يوغسلافيا وتركيا واليونان.

الحكم الشيوعي وسياسة الإبادة :

في ظل الحكم الشيوعي بدأت حملة إبادة ضد المسلمين أعد لها مخطط رهيب ففي بادئ الأمر عملت الحكومة الشيوعية على إجبار المسلمين على الهجرة إلى تركيا وذلك عندما لاحظ الشيوعيون أن المسلمين يتزايدون بسرعة ولكنهم بعد ذلك عملوا على القضاء على المسلمين واتبعوا عدة طرق منها :

١ — تغيير الأسماء المسلمة إلى أسماء مسيحية .

٢ — عدم صرف رواتب العمال والموظفين المسلمين إلا بعد تغيير أسمائهم الإسلامية .

٣ — عدم دخول طلاب مسلمين للمدارس .

٤ — إجبار النساء المسلمات على عدم لبس الزى الإسلامى .

٥ — يمنع المسلمون من دفن موتاهم في مقابر خاصة بهم .

٦ — منع المسلمون من الاحتفال بالأعياد وصوم رمضان وإقامة الصلاة وإغلاق المساجد ومن عارض هذه السياسة أدخل السجون وتمت إبادتهم داخل هذه السجون ، في حين سمح للمسيحيين بأن يمارسوا نشاطهم الدينى ولهذا يعانى المسلمون اضطهاد كبير فى بلغاريا ويكاد يكون المسلمون الموجودين حالياً داخل البلاد يحملون الإسلام اسماً بعد أن كان يوجد فى بلغاريا أكثر من ١,٢٠٠ مسجد أغلقت جميعها وحولت إلى متاحف أو هدمت والشيوعية تريد أن تمحو اسم الإسلام نهائياً من تلك الديار، التى كانت منذ عصور طويلة أرضاً إسلامية انتشر فيها دين الاسلام ومنها أشع شعاع الإيمان فالله يعيد الكرة للاسلام فى تلك البلاد وينهب إلى الأبد آثار الملاحدة الشيوعيين أعداء الله وأعداء الدين فى بلغاريا .

وكل هذا يحدث على مسمع ومرأى من العالم الإسلامى فى نفس الوقت الذى تدعى فيه بلغاريا صداقتها لبعض الدول الإسلامية وتقيم معها العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وكأنهم عوناً لها على تحطيم الإسلام فى بلادها .

الاسلام والمسلمون في المجر

لقد خرجت السرايا الإسلامية من دمشق العاصمة الأموية وأما كن أخرى من العالم الإسلامي لتد دين الله الخنيف إلى الشمال الأفريقى ووصلت السرايا التى ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى شواطئ الأطلسى ونزل عقبة بن نافع بفرسه فى مياه المحيط ، ولم تمض فترة طويـلة حتى خرج البربر والعرب تعصمهم وحدة الإسلام ليغزوا أرض أوربا ولينثروا الدين الاسلامى فى كل أنحاء القارة ، وتم لهم ما أرادوا ، فقد انطوت أقطاراً كثيرة تحت راية الاسلام ووصل الاسلام فى حركته الامتدادية إلى حدود النمسا وألمانيا ، وذلك فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بعد أن تمكن المسلمون من جبال الألب وأقاموا دولتهم الاسلامية فى سويسرا .

هذا من ناحية الجانب الغربى للقارة الأوروبية وسكن من الناحية الشرقية من القارة ، فإن القسطنطينية رغم الحملات للاسلامية التى خرجت إليها من أجل رفع راية الاسلام فوقها ، فإنها لم تقف حائلاً دون اندفاع الاسلام إلى الأقطار الواقعة إلى الغرب منها فقد وصل الاسلام ورسائله الخالدة إلى أرض هنغاريا أو ما يطلق عليها اليوم بلاد المجر .

الاسلام وانتشاره فى البلاد :

لم يكن المجر التى انتشر الاسلام فيها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) لم تكن إلا أحد الأقطار التى تمكن الاسلام من قلوب أهلها وهداهم الله إلى اتباع الطريق المستقيم فى وقت كادت فيه كل القارة الأوروبية أن تنطوى تحت راية الاسلام ، والمجر تكاد تتوسط قلب القارة الأوروبية ، وسكن فى القرن الثالث الهجرى لم تكن حدودها السياسية هى الحدود الحالية بل كانت أكثر اتساعاً وربما أطلت بحدودها على بحر البلطيق ، أما اليوم فهى بلد داخلى لحدود سياسية له على البحر أو المحيط ، ويحد المجر من الشرق الاتحاد السوفيتى ومن

إلى الغرب النمسا ومن الشمال تشيكوسلوفاكيا ومن الجنوب رومانيا ويوغسلافيا ونهر الدانوب يشقها من الغرب إلى الشرق وتنقسم المجر إلى منطقتين، منطقة شرقية وهي سهل غنى بالزراعات ومنطقة غربية وهي هضاب وجبال .

أما عن انتشار الإسلام بين ربوعها فلم يعرف على وجه التحديد وقت دخول الإسلام إلى تلك الديار ، وربما يكون قد وصل على أيدي بعض التجار أو الدعاة في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وقد انتشر الإسلام في المجر بنفس الطريقة التي انتشر بها في بلغاريا ، فقد انتشر في طول البلاد وعرضها دون فتح أو غزو ، ويعتدو أن انتشار الإسلام في أول الأمر كان بطيئاً وأن الذين اتخذوه عقيدة لهم كانوا فئة قليلة .

ويسوق لنا ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، رواية يعد فيها بلاد المجر من الأقطار التي انتشرت تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيقول أنه في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، السابع الهجري ، كان في بلاد المجر طائفة كبيرة من المسلمين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي عن رضا ، وقناعة عن طريق الدعاة المسلمين الذين جاءوا إلى بلادهم وأنهم اتخذوه عقيدة لهم ، وأن هذه الطائفة معروفة في تاريخ المجر بما كان لها من مكانة ، وقد تمسكوا بدينهم الإسلامي الحنيف على الرغم من أن بعض ملوك المجر القدماء الذين كانوا يروا في الإسلام خطراً عليهم نظراً لازدياد الداخلين فيه ، قد ضيقوا الخناق على هؤلاء المسلمين مراراً ليحملوهم عن دينهم ، ولكن محاولاتهم بامت بالفشل وازداد دخول القوم في دين الله الحنيف .

مسلمو المجر في بلاد الشرق :

يذكر ياقوت الحموي في روايته أنه تقابل مع طائفة من مسلمي المجر في مدينة حلب بالشام وأنهم كانوا طائفة كبيرة يقال لهم « الباشغودريه » ، ويبدو أنهم كانوا في طريقهم إلى الأراضي المقدسة في الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وهم قوم شعور والوجوه قمر الش ، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ويكمل

ياقوت روايته فيقول أنه سأل رجلا منهم كان يتحدث العربية أن يحدثه عن بلادهم ، وأحوال المسلمين بها وكيف وصل الإسلام إلى تلك الديار الواقعة في قلب أوربا ، فقال له الرجل المجرى ، أما بلادنا فهي تقع من وراء القسطنطينية في عاصمة من الفرنج يقال لها الهنسكر ، ونحن مسلمون رعية للملك لم يعتنق الإسلام بعد - وهذا عكس ملك البلغار الذي أعتنق الإسلام وأخذ يدعو له بين رعيته - وبلادنا في الجنوب من بلاده ويقصد المتحدث هنا أحد البلاد التي انتشر فيها الإسلام تقع جنوب المجر أي هي تجاور بلاد البلغار مما سهل للإسلام أن يذشر ويأخذ طريقة بسهولة ، وهي في نحو ثلاثين مدينة وقرية وكل واحدة منها تكون بلدة صغيرة مستقلة بنفسها ويلاحظ هنا أن الإسلام قد وجد له قاعدة عريضة بين سكان البلاد بدليل هذا العدد الكبير من المدن والقرى إلا أن ملك الهنسكر لم يسمح لنا بعمل أسوار حول مدننا أو قرانا ، خوفا من أن نخرج عن طاعته وحكمه أو نعلن العصيان عليه أو نستقل عن ملكه وتكون دولة إسلامية مستقلة في هذه الأراضي ونقيم عليها ملك مسلم من بيننا ، وهذا هو السبب الذي حظر علينا وعلى كل المسلمين في بلاده من تحصين بلادنا .

ويكمل الشيخ المجرى حديثه لياقوت فيقول : نحن في وسط بلادنا النصرانية فثمنا بلاد الصقالية - ويقصد هنا ربما الأراضي التي لم تخضع لملك بلغاريا المسلم بعد ، وجنوبنا بلاد البابا ، وفي الغرب بلاد الفرنج ، وفي الشرق بلاد الروم القسطنطينية وأعمالها وقال أن لساننا لسان الفرنج - أي أن اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن الكريم لم تنتشر على نطاق واسع في هذه البلاد ، لكنه أشار إلى أنه يوجد بيننا من يتحدث اللغة العربية وزينا زى سائر أهالي المجر ونخدم معهم في الجندية ، ونغزو معهم كل طائفة ، إلا أننا لا نقاتل إلا بخالف الدين الإسلامي وأن الجنود المسلمين في المجر لم يشتركوا قط في قتال المسلمين .

سبب إسلامهم :

وأضاف ياقوت الحموي أنه سأل الشيخ المجرى عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفرة أي تحيط بهم بلاد نصرانية من كل جانب فقال الشيخ سمعت من جماعة من أسلافنا وهذا يعني إن الإسلام قديم في بلاد المجر -

يتحدثون عن أنه قد قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار - يلاحظ هنا الجهود التي بذلها البلغار في نشر الإسلام والفرص التي أتاحتها ملك البلغار المسلم للدعاة المسلمين للانطلاق من بلاده ونشر الدعوة الإسلامية في البلاد المجاورة - وسكنوا بيتنا ونلففوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب وضرورة اعتناق الدين الإسلامى والخروج من دين الشرك ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلم أسلافنا جميعاً وهم الذين كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية والتي لا تزال نحن نسكن بها ، وشرح الله صدورهم للإسلام والإيمان وبذلك وجد الإسلام طريقه إلى أرض المجر بعد أن ازداد عدد الذين اعتنقوا ذلك الدين .

ونحن نأتى إلى تلك الديار الإسلامية في بلاد الشرق - منبع الإسلام والحضارة الإسلامية - لكي نؤدى فريضة الحج ثم الإستقرار فترة من الزمن في بلاد الشام لكي نتفقه في أمور الدين، وندرس العلوم الإسلامية المختلفة بمختلف فروعها وتعمق في فهمها ، ونأخذ بالتعاليم الإسلامية الصحيحة وتتخلص من الشوائب والعادات والبدع التي ورثناها وتنقي مع مبادئ ديننا الإسلامى السمح ، إننا بعد أن نتزود بكل هذه العلوم الإسلامية نشترى الكتب الإسلامية والقرآن الكريم ، ثم إذا رجعنا إلى بلادنا المجر أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم مثل الدعوة للدين الإسلامى بين القوم وشرح الأمور الدينية وتولييه القضاء والامامة في المساجد والوعظ الارشاد وتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية والقرآن الكريم والحكم بين الناس طبقاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور حياتنا ، والقيام بفشر الإسلام والوعظ في المساجد وتشجيع الناس والحصل على الإكثار من بناء المساجد في هذه المدن والقرى التي يسكنها المسلمون ، وحث المسلمين على الترابط والعمل على نشر الرسالة الخالدة (رسالة الاسلام) بين القوم الكفار ، وسأله ياقوت بعد ذلك عن سبب حلق لحامه كما تفعل الفرنج فقال يحلقها منا المتجندون ويلبسون لبسه السلاح مثل الفرنج وختم المجرى حديثه مع ياقوت بتعريفه مقدار المساحة التي بين حلب وبلاده وهي خمس شهور .

المسلمون واحوالهم :

يذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه غزوات العرب أنه سأل بعض علماء التاريخ في المجر عن هؤلاء المسلمين الذين كانوا يعيشون في بلادهم في الجنوب ويكونون مجموعة كبيرة في تلك الأرجاء في القرن الثالث الهجري، فأجابته الجنرال « تيودر كلوك » أستاذ التاريخ في جامعة « بودابست » عاصمة المجر الحالية بما خلاصته بأنه كان يوجد في بلاد المجر قوم مسلمون وأن أصلهم من بلاد البلغار وأنهم جاءوا إلى هذه البلاد للدعوة والتجارة وأنهم سكنوا بين القوم من أهل المجر وأنهم نشروا الإسلام بين أعداد كبيرة من أهالي المجر حتى أصبح الجزء الجنوبي منطقة إسلامية كله يعيش فيها المسلمون. وأن هؤلاء الأهالي من المجر انضموا للقوم الذين جاءوا من بلغاريا في عبادتهم وجاء مثلهم مسلمون يفعلون ما يفعلون ويمتنعون عما يمتنعون وأنهم عاشوا في المجر أيام ملوك المجر من أسرة « أربارد » في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي في الفترة من ٨٩٦/٢٥٦ هـ حتى عام ١٣٠١ م وكان يقال لهم الإسماعيلية . غير أن كلمة الإسماعيلية لم يقتصر استعمالها للدلالة على العرب ، بل أطلقت على المسلمين كذلك والمعروف أن الإسماعيلية كما نفهمها نحن المسلمون اليوم هي طائفة من طوائف الشيعة تنسب إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي أبي طالب واشتهرت طائفة من المسلمين في المجر باسم الإسماعيلية وذلك خلال العصور الوسطى ولكنها انقرضت اليوم لقلّة عددها واندماجها التدريجي في المجر فضلا عما نزل بها من اضطهادات وأحساف وإرغام على الارتداد عن دين الإسلام .

والملاحظ هنا أنه من الأمور الغريبة أن لفظ الإسماعيلية لم يعد يطلق على العرب وحدهم أبناء إسماعيل عليه السلام ، بل صار يطلق فيما بعد في أوروبا (شرق أوروبا) ، على كل المسلمين والذين انطوا تحت راية الإسلام وأطلق الأوروبيون هذا الاسم على كل من اعتنق الإسلام من قومهم .

وكانوا في القرن الحادي عشر الميلادي يعيشون جماعات في جنوب البلاد ، وكانوا جنود أشداء حتى أن الملك عين منهم حراساً لقلعته الكبيرة في بلدة « بست » في جنوب البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي إزداد عددهم ولم يعد وجودهم

حتى مدينة بست وحدها بل انتشروا في جميع بلاد المجر وكان أكثرهم من طبقة التجار ، وفي عام ١٠٧٧ م أصدر الملك المجرى (لاديسلاوى) أمراً بتخصير هؤلاء الإسماعيلية ولكنه لم يستطع أن يؤثر فيهم بهذا القرار بل بقى هؤلاء دينهم الإسلام الحنيف ، بل وأكثر من ذلك أخذوا يعملون سراً على نشر الإسلام بين شعب المجر ، وعلى أثر فشل أمر الملك (لاديسلاوى) ، نجد الملك كولمان يصدر عام ١٠٩٥ م مرسوماً بأن لا يكون فى المدن والقرى التى يسكنها المسلمون أكثر من نصف عدد سكانها وبذلك يثبّت المسلمون فى كل أنحاء المجر.

دور المسلمون فى المجر :

وفى أيام الملوك الذين جاءوا بعد الملك (كولمان) كان المسلمون يؤثرون المعمل فى الخدمة العسكرية وقد استطاع أفراد منهم الوصول إلى مناصب عليا فى الجيش لأنه كان مشهوداً لهم بالشجاعة وحب الجندية وفى عام ١١٦١ م أرسل ملك المجر (جيرى الرابع) إلى الإمبراطور (فريدريك) إمبراطور ألمانيا جيشاً لمساعدته فى حروبه كان به خمسمائة جندى وضابط من المسلمين الإسماعيلية ، وفى عام ١٢٠٧ م كان المسلمون قد تحولوا إلى القيام بالأعمال المالية وصاروا صيارفة يقرضون طول المجر الأموال التى يحتاجونها ومازالوا حتى عام ١٣٤٢ م معروفين فى طول البلاد وعرضها لدى كافة الشعب المجرى كسليين ، ولكن منذ ذلك الوقت أخذوا يندمجون مع الشعب المجرى وإن كان فى عام ١٣٦٦ م لاتزال عائلات مسلمة تعيش فى بلاد المجر ، والذى لاشك فيه أن هؤلاء المسلمون الذين كانوا يعيشون فى بلاد المجر ، لم يكونوا من أصل عربى قط أو أصل بلغارى ولكن من بينهم مسلمون جاءوا من بلاد إسلامية (مسلمون تتار وأتراك) وعاشوا بينهم بالإضافة إلى مسلمى المجر أو الباشغرد .

ولقد كان انتشار الإسلام فى الأجزاء الجنوبية فى البلاد سبباً فى تحضر تلك الأجزاء من المجر ورقيا وذلك بانهتشار الحضارة الإسلامية وثقافتها فى تلك الأنحاء والى كثرة فيها بناء المساجد ذات الفراز الإسلامى الشرقى وأيضاً بناء المساكن التى بناها المسلمون والى تحنّف عن مساكن أهل البلاد والى اقتبس طرازها من الشرق الإسلامى

وكذلك انتشار ظاهرة حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وقدم العلماء من أهل المجر إلى بلاد الشرق الاسلامى لدراسة الدين الاسلامى الخفيف وعلومه المختلفة وكل هذه الأمور ساعدت على تقدم شعب المجر الذى كان يعيش أغلبه فى عصور الظلم والجهل ولم تكن شمس الحضارة قد سطعت بعد على المجر إلا بفضل الحضارة الاسلامية ، ولو قدر للإسلام أن ينتشر فى كل بلاد المجر لتغير وجه الحضارة فى ذلك الجزء من القارة الأوروبية .

وانتشار الاسلام بهذه الصورة فى بلاد المجر منذ القرن الثالث الهجرى على أيدي أبناء الاسلام من بلغاريا وغيرها من البلاد الاسلامية والذين كانوا يدعون لدين الله الخفيف فى تلك البلاد لدليل قوى على قوة العقيدة الاسلامية ورسوخها ولكن التعصب الأعمى والكراهية الشديدة من جانب حكام البلاد لم تسمح للعقيدة الاسلامية أن تنتشر ويزداد انتشارها .

الاسلام فى عهد الأتراك :

كان أول لقاء للجيش المجرى بالجيش الاسلامى الذى خرجت لفرض دين الاسلام فى أوروبا فى القرن السادس عشر الميلادى أيام السلطان العثمانى سليمان القانونى عندما انهزم الجيش المجرى على أيدي العثمانيين فى معركة ميهاج عام ١٥٢٦م ودخل المسلمون مدينة بودابست عام ١٥٢٩م وهى المدينة التى كان المسلمون يعملون فيها جنود فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ولذا فقد أصبحت معظم بلاد المجر ضمن الدولة العثمانية الاسلامية ، ولكن حكم الاسلام فى المجر لم يدم أكثر من ٧٣ سنة ثلاثة وسبعون عاماً فقط .

ولقد هاجر المسلمون إلى المجر من الأتراك وغيرهم من الشعوب الاسلامية الشرقية واتى خرجت للجهاد فى سبيل الله ونشر الاسلام فى هذه البلاد وكان من بين هؤلاء كثير من العلماء وقد أدى ذلك إلى تكاثر المسلمين أيام الحكم العثمانى وخاصة فى الجنوب حيث كانت القاعدة الاسلامية فى البلاد منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

ولكن التعصب المسيحى الذى تلى خروج الدولة العثمانية من المجر أدى إلى هجرة

الكثير من المسلمين عنها والمسلمون يعانون من جراء تلك السياسة تقطر حقدًا على الاسلام بما استدعى أكثر العائلات المسلمة إلى ترك البلاد .

الاسلام في ظل الشيوعية :

سيطر الحزب الشيوعى على حكم البلاد عام ١٩٤٩ م ووضع دستوراً على نمط دستور الاتحاد السوفيتى، وقد عاش المسلمون في المجر في ظل هذا النظام الملحد مثلبا عاش إخوانهم في البلاد الأخرى التي تسيطر عليها حكومات شيوعية ولقد كان في المجر أيام حكم الأتراك ما يزيد عن ٨٣ مسجداً منها في « بودابست » العاصمة ٢٢ مسجد جامعاً وعشر مدارس إسلامية، وعدد كبير من المكتبات الاسلامية وكانت العاصمة ذات طابع إسلامى بأسواقها وفنادقها وشوارعها ولكن النصارى حطموا تلك المساجد وحولوها إلى كنائس .

وبذلك فإنه لم يبق في المجر اليوم لا مساجد ولا مدارس للمسلمين ومسلمو المجر يحاولون اليوم العمل على بناء مسجد لهم في العاصمة ولكن لا طاقة لهم بذلك والنظام الشيوعى يزيد الطين بله ويمنع وصول المعلمين إلى الوظائف وإن كان لإحصاء عام ١٩٧١م قد قرر عدد المسلمين في المجر بحوالى ٥ آلاف مسلم منهم حوالى ١٠٠٠ طالب مسلم يدرسون في تلك البلاد .

أن مسلمى المجر الحاليين ممنوعين من الاتصال بإخوانهم مسلمى الشرق وإن كان هناك نوع بسيط من الاتصال بإخوانهم مسلمى النمسا . إن الاسلام يعاني الاضطهاد والتعصب في تلك البلاد ومن هنا فإن الحكومات العربية والاسلامية مطالبة بالوقوف مع إخوانهم مسلمى المجر وتقديم المساعدات لهم ومساعدتهم في بناء مسجداً لهم في العاصمة بودابست والتدخل لدى الحكومة المجرية لتخفيف القيود المفروضة على مسلمى تلك البلاد .